النزيف الداخلي للأدمغة

خليفة الوقيان

النزيف الداخلي للادمغة تعبير او مصطلح جميل ودقيق ، سمعته من الدكتور نبيل شعث في اليوم الاخير لمؤتمر « قضايا تنمية الموارد البشرية في الوطن العربي » الذي عقد في الكويت في نهاية شهر كانون اول ١٩٧٥، بمبادرة من المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب واتحاد خريجي الجامعات الامريكية العرب .

واذا كان الدكتور نبيل وغيره نبهوا الى جانب مهم من مشكلة تسرب او هجرة او نزيف الكفايات ، وهو ان المشكلة لا تقف عند حدود من هاجروا ، والوسائل التي ينبغي اتباعها لاستعادتهم ، بل تتعدى ذلك الى ضرورة العمل لوقف الهجرة الى خارج الوطن ، وذلك من خلال معالجة المسببات ، فان من المفيد الالتفات الى جانب آخر من المشكلة ، وهو ما يمكن تسميته بالهجرة او الاغتراب الداخلي للادمغة ، او ما ينبغي أن نعده بحق « النزيف الداخلي للادمغة » .

فالهجرة للخارج يمكن اعتبارها نزيفا خارجيا تتضح آثاره ، ويسهل رؤيته وتشخيصه ، ومن ثم البحث في علاجه . أما النزيف الداخلي فاعراضه غير مرئية ، بصورة كافية ، الامر الذي يضاعف من خطورته ، ويؤدي من ثم الى تفاقم وتعقد المشكلة ووعورة حلها .

ولو اتخذنا من الكويت مثلا قريبا ومبسطا للمشكلة لتبين لنا مدى خطورة النتائج في حال تعميم المثال ليشمل الاقطار العربية الاخرى .

فالكفايات لدينا تواجه مشكلات كثيرة ناجمة عن سوء الادارة وفساد اجهزتها ، وارتباك التخطيط ، وسوء التوجيه،وشيوع الاعتبارات والمفاهيم المغلوطة، واهتزاز ميزان العدل في التعامل ، والعجز عن حشد نية وارادة الاصلاح ، أو عدم اقتران النية بالارادة في احسن الاحوال . ولو اردنا ان نفصل القول حول هذه الاسس ، ونأتي بالامثلة والشواهد لاحوجنا ذلك الى حديث طويل ذي شجون .

ان الفوضى لا بد ان تقود الى مزيد من الفوضى، وكذلك فان تراكم المشكلات الصغيرة لا بد أن يخلق منها مشكلات كبرى تستعصي على الحل بمرور الزمن.

وفي ظل هذه الاجواء علينا ان نتوقع تعرض الذين يمتلكون الكفاية « وحدها » لصنوف من الاذى النفسي، ان لم نقل الاذى المادي ايضا .

واذا لم يكن بمقدور هذه الفئة — لسبب او لآخر — أن تنفذ هجرتها المادية فمن الطبيعي ان نتوقع انكفاءها وانطواءها واغترابها الداخلي ، أي انها ستحيل في النهاية الى نزيف داخلي ذي آثار خطيرة لا بد أن تنهك جسد المجتمع وتهد قواه .

وبعد ، فقد يكون من اليسير على الكثيرين أن يضعوا أصابعهم في كل مرة على مواطن العلل ، ولكن متى يقدر للقلة أن تكف عن وضع أصابعها في آذانها ؟ تلك هي المشكلة ! ..

خليفة الوقيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إستريحي

شعر :
عبدالله احمد حسين



إسْتَريحي يا بضعةً من فُؤادي ... وارِيحـي فقدْ رميْتُ سلاحي
وتناءيتُ عن مراحِـي ورَوْضي ... يومَ كُنّـا واقعدتنـي جراحي
ذبلَ الياسمـينُ بينَ رياحينـي ... وجفَّتْ معَ السّمـوم اقاحي
وتركتُ الغديرَ للصّادح الرّاهي ... وهانَتْ على الرّيـاح جَناحي

★ ★ ★

إهدئي فالرّيـاحُ حولكِ سكرى ... مذ هَدَأنا ونامتِ الآهـات
والفراشاتُ لم تعُدْ هائمـات ... في سَمانـا وغابَتِ الأنّـاتُ
واستريحي فلسْتُ أبصرُ طيفاً ... من هَوانا وضاعَت الذكريـاتُ
هـذا الكونُ حَولَنـا مذ هَدانا ... واستَرحْنا ونامَـتِ العاصِفات

★ ★ ★

لم تعُـدْ لي قيثـارةٌ يا حياتي ... تبعَـثُ اللّحنَ دافئـاً والأغاني
والرؤى ذابتِ الملامحَ منْهـا ... مثلَمـا ذابَ في حياتـي الأماني
حرّكيني .. تأكّدي من وُجودي ... لسْتَ أدْري هل احْتواني مَكاني
أسْمِعينـي ما تَنْطقـين وقوْلي ... ما تشاءينَ واهْمِسي في كيانـي

★ ★ ★

يا عَصافيرَ أيْكَتي صمتَ العودُ ... واغْفَـتْ قيثارَتِـي فاتْركينـي
واهْجري الرّوضَ فالشّتاءُ على الدّربِ ... وعُودي إلى مكانٍ أمينِ
بتُّ أخْشى عليكِ من بَرْدِ يَأسي ... وضَياعي فَغادري واعْذُرينـي
واذْكُريني فقدْ يعُودُ الى النّبضِ ... فؤادي وقَـدْ يعـودُ حَنينـي

عبد الله احمد حسين
دمشق في ١٩٧٥/١٢/٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحب والشعر



شعر
عبدالله زكريا الأنصاري

الاديب الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري له في حقل الشعر نشاط كبير ومساهمة ايجابية في مواكبة القضايا القومية . ويشهد بذلك ما نشر له في الصحف الكويتية مثل البعثة وكاظمة .

وفي السنوات القليلة الماضية صرف الاستاذ عبدالله جهده جهة البحث ، فأخرج خمسة مؤلفات ، فضلا عن مجموعة من المقالات ، مفرقة في الصحف الكويتية والعربية .

ولفرط انغماسه في أجواء البحث ظننا أنه قد يهجر الشعر ، ولكن ذا الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا ، وهذا ما جعل الاستاذ عبد الله يعود الى أيكة الشعر ثانية ، وينظم خمس قصائد وجدانية في فترة قصيرة .

وقد تمكنا من الحصول على واحدة من هذه القصائد الخمس لتنشر في هذا العدد . وحين يقدر لنا الحصول على القصائد الاربع الاخرى فسوف نقوم بنشرها .

ويبقى أن شاعرنا لا يميل الى نشر ذلك اللون من الشعر الوجداني ، في حين نرى أن من المفيد لدارسي الشعر أن يطلعوا على أية نماذج تأتي بها قريحة الشاعر ، مهما يكن الغرض الذي تدور حوله القصائد .

خليفة

عَشِقْتُ فيكِ الهوى والفِكْرَ والأدَبا
ورُحْتُ أَنْسجُ منها الأحرفَ القُشُبا

أَصوغُ منها القَوافي كلَّ راقصةٍ
تَحيلُ كلَّ خَلِيٍّ راقصًا طَرِبا

وَأَسْتَمِدُّ أَناشيدي وأُخيلَتِي
وَأَلْحَقُ القَوْلَ معنىً أَيْنَما ذَهَبا

أَصْطادُهُ بخَيالي ثُمَّ أُطْلِقُهُ
بينَ القَوافي يَهُزُّ النَّفْسَ مُلْتَهِبا

أَسْتَلْهِمُ الوَحْيَ منها حَيْثُ يُلْهِمُني
شِعْرًا أُفَرِّج فيهِ الهَمَّ والكُرَبا

والشِّعْرُ منبعُهُ روحٌ مُعَذَّبَةٌ
وَخافِقٌ في الحَنايا لمْ يَجِدْ هَرَبا

حَسْبي منَ الشِّعْرِ أحْلامٌ وأُخيلَةٌ
وفيهِ أَخْتَرِقُ الأَسْتارَ والحُجُبا

أَغْزو بهِ عالَمًا جَمَّ الرُّؤى ولَهُ
طُيوفُهُ الخُضْرُ إنْ صِدْقًا وإنْ كَذِبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أَبُثُّهُ الشَّجْوَ والأحْلامُ سابحَةٌ
كالطَيرِ مُنْطَلِقًا أَسْمو بها الشُّهُبا

والرّوحُ محبوسَةٌ في الجسْمِ خاضِعَةٌ
وفي جَوارِحِهِ مـدَّتْ لها طُنُبَا

★ ★ ★

لقَدْ غَـدَوْتِ مُنـى أَهْفـو لغايتِهـا
مُذْ رُحْتُ أُبْصِرُ فيكِ المَجْدَ والحَسَبا

وَكمْ تَمادَيْـتُ في الأَوْهامِ فانْطَلقَـتْ
تُهَدْهِدُ القَلْـبَ إمّا اهْتَزَّ واضْطَرَبا

إذا رَأَيْتُكِ طـارَ الـرَّوْعُ منْ خَلَـدي
وَصَفَّـقَ القَلْـبُ في أحْنائِـهِ طَرَبـا

أَرْنـو إلَيْـكِ وَقَلْبي خافِـقٌ أبَـدًا
يَهْفو إلَيْـكِ وَأَخْشى أَعْـيُنَ الرُّقَبا

وإنْ فَقَدْتُكِ مَكْنـونُ الهوى اشْتَعَلَتْ
نِيرانُـهُ شُعَـلاً واشْتَدَّ والْتَهِبـا

منْ وَجْهِكِ السَّمْحِ أَسْتَهْدي خُطايَ ومِنْ
حِجـاكِ أَسْتَلْهِمُ الأَقْلامَ والكُتُبـا

أَحْبَبْتُ فيكِ عُلُـوَّ الرُّوحِ في خُلُـقٍ
عَذْبٍ سَمَوْتِ بهِ سُبْحـانَ مَنْ وَهَبا

حتّى غَدَوْتُ أَسـيرًا في هَـوَاكِ وَلَمْ
أَجِدْ خَلاصًا ومنّي العَقْلُ قَدْ سُلِبـا

فَرُحْـتُ أَلْتَمِسُ السّلْـوانَ في بَلَـدٍ
ناءٍ بمِصْـرٍ لَعَلّـي وَاجِـدٌ سَبَبـا

حَسِبْتُ في النّـأْيِ سُلْوانًا فَأَحْرَقَنـي
وَلَـمْ أَجِـدْ فيهِ إلاّ الهَـمَّ والتَّعَبـا

جسْمي بمِصْرٍ وقَلْبي في الكُـوَيتِ ولا
أَرى سوى الحُبِّ مُمْتَدًّا ومُنْشَعِبـا

أَقْضي اللّيالي وللأَحْـلامِ دَمْدَمَـةٌ
تَسُدّ في الفِكْرِ ما قَدْ رَقَّ أوْ عَذُبـا

ما غابَ طيفُكِ عنْ بالي وَلَسْـتُ أرى
إلاّ خَيـالَكِ في عَيْنَـيَّ مُخْتَضِبا

أضْحى هَـوَاكِ بِرُوحي لا يُفارِقُهـا
في كُـلِّ جارِحَةٍ قَـدْ باتَ مُنْسَرِبا

شَتّانَ بَيْني وبَـيْنَ النّـاسِ أَرْقُبُهُمْ
هذا خَلِيٌّ وهَـذا لمْ يَجِدْ نَصَبـا

وَذاكَ يَلْهـو ومَعْنى الحُـبِّ يَجْهَلُهُ
ولا يَرى فيـهِ إلاّ المَيْنَ والكَـذِبا

والحُـبُّ سِرٌّ إلهـيٌّ وعاطِفَـةٌ
قَدْ ظَـلَّ أمْـرًا عن الأفهامِ مُحْتَجِبـا

أمّا المُحِـبُّ فَمَأْخوذٌ بـهِ أبَدًا
ولا يَرى فيـهِ إلاّ المَعْقِلَ الأَشِبـا

والحُبُّ نُورٌ ونـارٌ في تَوَهُّجِـهِ
يُضِيءُ طَـوْرًا وَطَوْرًا يَفْتَـدي لَهَبـا

فأيْنَ مِنّـي الهَـوَى في مَهْمَهٍ بَعُدَتْ
آثـارُهُ كلَّ ما فيهِ وقَـدْ صَعُبـا

شَطَّتْ أمانيهِ فَارْتَـدَّتْ تُطارِدُنـي
أَحْلامُـهُ فَتُرِيني الهَوْلَ والعَجَبـا

فَعِشْتُ في مَعْبَدي والحُبُّ يَعْصِرُنـي
أَجْتَرُّ ما قِيـلَ شِعْرًا فيهِ او كُتِبـا

وَأَغْـرِقُ الهَـمَّ في الأَوْهامِ زاهِيَـةً
لَعَـلَّ فيها لأَحْـلامي أرَى سَبَبا

والحُبُّ، ما الحُبّ ؟ لا يَأْلُو بِصاحِبِهِ
يُثِيرُ فيـهِ المُنَـى إنْ شَطَّ أوْ قَرُبـا

أُعَلِّلُ النَّفْسَ فيـهِ كُلَّمـا اضْطَرَبَتْ
وفاضَ فيها الأَسَى وَامْتَدَّ واصْطَخَـبا

والشِّعْرُ، ما الشِّعْرُ ؟ آهاتٌ نَبَتْ بها
مِمّا نُعانيهِ وَجْـداً كانَ أوْ وَصَبـا

وَنَبْعَـثُ الحُـزْنَ فيـهِ كُلّما امْتَلأَتْ
في النَّفْسِ أَشْجـانُها أوْ هَـدَّها نَعِبا

والهَمُّ في النَّفْسِ كَمْ أبدَى لَها صُـوَرًا
تَرُوعُهـا وَتُريهـا الهَـوْلَ والنُّوَبـا

حَسْبـي منَ الحُـبِّ أَشْعارٌ مُنَفَّمَـةٌ
أبَتْهـا الفِكْرَ والأَخْـلاقَ والأَدَبـا

★ ★ ★

أَسْلَمْـتُ أَمْـرِي لِوَجْهِ اللّهِ أَرْقُبُـهُ
إذْ لَمْ أَجِدْ غَيْرَ وَجْـهِ اللّهِ مُنْقَلَبـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يسر « البيان » ان تنشر فيما يلي ، نص المحاضرة التي القاها الدكتور عزت شعلان في مقر رابطة الادباء في الكويت ، بالعديلية ، مساء يوم الاربعاء الواقع في ١٩٧٥/١٢/٢٤ .

النفس .. عند الغزالي

الدكتور عزت شعلان

سيداتي سادتي

عندما دعاني الاخوان الافاضل كي اشرف بالحديث اليكم تخيرت انا موضوعي ، فهو يشغلني كثيرا ، واحسب انه يشغل كل انسان يفكر في نفسه وعلاقته بالوجود ومصيره بعد الحياة وفيها ما فيها من الالام والعناء .

وطبيعي ان هناك فارقا بين قراءة الانسان لنفسه وتوفره على الكتابة للناس قارئين او سامعين . وسرعان ما وجدت الموضوع متشعبا متعدد الجوانب وعانيت حالة من المخاض الفكري . وغني عن البيان ان جهدي ليس جهد الانشاء والابتكار في علم المعاني والافكار ، وأين انا من هذا المحيط الزاخر الهدار ؟ بل أين انا من هؤلاء الفطاحل الكبار ؟!

وانما ذهبت الى عالم الفكر انتقي طعاما مختلفا الوانه واعكف على انضاجه وتسويته ثم بعد ذلك تختلف المذاقات — وعسى ان يكون سائغا لديكم كما ساغ لدي .

ولن يتناول حديثنا النفس من الناحية العلمية التجريبية بل سوف نتناولها من الناحية الفلسفية النظرية او الميتافيزيقية . ورب سائل يسأل : ما بال صاحبنا الطبيب يترك ما عاش فيه دراسة وحياة الى ميادين الفلاسفة والمفكرين حيث يتقارعون بالمنطق والفكر وبراهين العقل ؟!

والجواب يسير ، ذلكم اني اتاسى باسلافنا الاطباء العظام ايام الحضارة الاسلامية الزاهرة اولئك الذين جهبذوا الى الطب نبوغا في ميدان الفلسفة والادب والدين وسائر العلوم . والذين يستغربون اليوم ذلك ينسون ان ائمة الفكر في الغرب اليوم انما ينهجون منهج اسلافنا العرب عصمة للنفس الانسانية من داء الفصام الفكري ودعوة للتناسق والتآلف والتوازن في البناء الفكري للانسان ثم يضطرني التواضع الحق أن اعيد القول : واين انا من هؤلاء القمم الشوامخ ؟! انما هي محاولة لا بأس ان نسلك سبيلها .

وقديما قال سقراط : اعرف نفسك أترانا اليوم قد بلغنا غاية القرار ؟!

ولست ازعم اني آتيكم بالكلمة الاخيرة وفصل الخطاب في جوانب الموضوع كله . ذلك امر ما اليه سبيل . فالنفس مشكلة خالدة متجددة . والعقل الانساني بطبعه يفكر ويبحث ويتأمل ويتفحص لكن نوره دون ريب نور محدود وانى له بذاك النور الضئيل ان يهتك كل استار المجهول وان يكشف كل اسرار الوجود . اجل قد يكشف الانسان في سعيه الدائب نحو المعرفة آفاقا بعد آفاق ، لكن ادراك الحقيقة الكلية المطلقة التي لا يبقى امامها سر وراء حجاب امر يعلو على طاقة الانسان فاذا بلغها اصبح الها ولن يكون . وما وراء

الحس في عالم الغيب لا يكشفه الا نور من عالم الغيب فهي اذن قبسات من نور الله تشرق على العارفين فتهديهم الى صراط مستقيم .

في حديثنا الليلة سنذكر اطرافا من حياة الغزالي ومكانته وآثاره وسنتحدث عن النفس وجودها وماهيتها وعلاقتها بالبدن وخلودها بعد الموت ثم رسالة الانسان.

وسنذكر في هذه الموضوعات آراء الفلاسفة اليونان والمسلمين حتى نصل الى الغزالي فالحديث على هذا النحو مترابط الاجزاء . وارجو الا اشق عليكم ان الله مع الصابرين .

* الغزالي : حياته ــ اقوال الناس فيه ــ آثاره وكتبه

هو ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي . ولد بطوس في خراسان في القرن الخامس الهجري اي الحادي عشر الميلادي (حوالي منتصفه) . كان والده يشتغل في غزل الصوف وبيعه ، واوصى عند موته احد اصدقائه بتربية ولديه احمد ومحمد . ولما نفد ما لهما من مال بعث بهما الصديق الى مدرسة يتعلمان ويكسبان العيش . وكان التوفيق حليفهما ، فصار احمد من افاضل الناس . وعلا شان ابي حامد ــ ضيفنا الليلة ــ فاصبح الامام حجة الاسلام وصار اللقب علما عليه .

سافر الغزالي من طوس الى جرجان في تحصيل العلم ثم عاد الى بلده فمكث فيها ثلاث سنين ، ذهب بعدها الى نيسابور ولازم الجويني ــ امام الحرمين ــ ودرس عليه علوم الدين والفقه ، والمنطق والفلسفة والجدل وظهرت على الغزالي امارات النبوغ ، وروي عن الجويني وصفه للغزالي في تلك الفترة بانه بحر مغرق . والف الغزالي حينئذ كتابه المنخول في الاصول، وهو في الفقه فقال له الجويني : دفنتني وانا حي هلا صبرت حتى اموت . ومن طريف ما يرويه الغزالي في سفرته من جرجان عائدا الى بلده طوس ، ان خرج عليه بعض قطاع الطريق فسلبوا ماله وكتبه . ورجاهم الغزالي ان يعيدوا اليه كتبه فقد احتمل في سبيلها عناء الغربة والترحال . فسخر منه بعضهم وقال : ما جدوى العلم الضائع بضياع كتبه؟! وتلقى الغزالي ذلك الدرس فوعاه، واقبل على العلم يختزنه في ذاكرته حتى لا يذهب سدى اذا تعرض لذاك المآل .

ثم ذهب الغزالي الى معسكر الوزير السلجوقي نظام الملك عند مشارف نيسابور وكان الوزير يعقد مجالس العلم وفيها ظهر فضل الغزالي وقوته ،وامتيازه على غيره من العلماء ، فقربه نظام الملك ، واختاره للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد . وسافر اليها الغزالي وقد سبقته شهرته ، فاحسن اهلها استقباله وكان بلغ من العمر اربعة وثلاثين عاما .

لبث الغزالي في بغداد نحو خمس سنين، علا فيها شانه وذاع صيته . واقبلت عليه الدنيا ، وتقرب اليه الولاة وهو يعرض عنهم اكبارا منه لشانه واعتزازا بعلمه وفضله وذكر بعض عارفيه انه كان في تلك الحقبة يلبس الفاخر من الثياب والزينة ، ويغلب عليه في علاقاته بالناس التهجم ، والجاش والباس ، والنظر اليهم بعين الازدراء والاستخفاف، كبرا وخيلاء واغترارا بما رزق من البسطة في النطق ، والخاطر والعبارة وطلب الجاه وعلو المنزلة .

ثم تعرض الغزالي لمحنة فكرية نفسية اليمة كان لها في حياته اثر هائل . وفي حياة بعض الناس مواقف يسائلون فيها انفسهم : الى اين نسير ؟ وعلى اي نهج نعيش ؟ وانحن على صواب فيما نأخذ وندع ؟ واين المخرج والمصير ؟! سجل الغزالي هذه المحنة النفسية التي عقلت لسانه ، وشلت قواه وهدت كيانه في كتاب رائع نادر في تاريخ الفكر الانساني هو كتاب المنقذ من الضلال . احس الغزالي انه في عمله انما يطلب الدنيا وان الاخلاص الحق لله ينقصه ووجد ان طريق التصوف هو سبيل الاطمئنان واليقين فعزم على ان يهجر بغداد ويفر الى الله . واشاع بين قومه انه خارج الى مكة ، ثم ذهب الى الشام ومكث في دمشق نحو عامين يشتغل برياضة نفسه وتزكيتها وتطهيرها . ثم رحل الى بيت المقدس ، وسافر الى الحجاز يؤدي فريضة الحج ويسعد بزيارة الرسول عليه السلام . وكتب الغزالي خلال سياحته ، كتابا خالدا آخر من كتبه هو احياء علوم الدين ويقول الغزالي عن هذه الفترة بعد الحج : « ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت ابعد الخلق عن الرجوع اليه فآثرت العزلة به ايضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر ... وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير في وجه المراد ، وتشوش صفوة الخلوة . وكان لا يصفو لي الحال الا في اوقات متفرقة . ولكني مع ذلك ، لا اقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق واعود اليها . ودمت على ذلك مقدار عشر سنين . وانكشف لي اثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها » .

وكذلك عاد الغزالي الى بلده طوس يؤثر العزلة والخلوة ويقوم على تربية من يختلف اليه من الصوفية والمريدين . ثم عاد للتدريس في نيسابور نحو عامين رجع بعدهما الى مسقط راسه في طوس حيث وافته المنية . ويروي اخوه احمد ان الغزالي يوم وفاته توضا وصلى وطلب اكفانه وقبلها ثم قال سمعا وطاعة للدخول على الملك ونام مستقبلا القبلة وفاضت روحه الى

بارئها . ولعل هذه الخاتمة للامام الغزالي توحي برضوان الله ورحمته .

كانت حياة الغزالي في أواخر الدولة العباسية عندما ضعف سلطان الخلافة في بغداد وزاد نفوذ الاتراك السلاجقة واستقلت اطراف الدولة وكان عصر فتن وتنازع في الاهواء وتباين في المذاهب السياسية والدينية والنحل الظاهرة والباطنة . وتفشت البدع الخلقية والفكرية وكان بغداد برج بابل بما يعج فيه من شتى النزعات والآراء .

سيداتي سادتي :

يصدق في الغزالي قول القائل انه ملأ الدنيا وشغل الناس ، والعظماء في كل عصر وفي كل مكان تتفاوت فيهم الآراء تفاوتا شديدا بين التعصب لهم والتحامل عليهم . وكذلك الشأن مع امامنا الغزالي . فقد روي عن بعض المتعصبين قوله عن كتاب الاحياء : كاد الاحياء يكون قرآنا ... وقال آخرون لو كان نبي بعد النبي لكان الغزالي .. ورماه المتحاملون بالكفر والزندقة واحرقت كتبه في المغرب ثم عادت الى الذيوع والانتشار وصار من امثالهم الشعبية حتى اليوم « بيع اللحية واشر الاحيا ! » .

وقال ابن خلدون عن كتاب الاحياء « جمع الغزالي — رحمه الله — بين الامرين — يعني الفقه والتصوف — في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت احكامها انما تتلقى من صدور الرجال ... »

ونحب أن نذكر من رجال العصر الحديث استاذنا العقاد رحمه الله . وانتم — دون ريب — تعلمون عنه سعة الثقافة وعمق التفكير واطلاعه الزاخر على نتاج الفكر الانساني قديمه والحديث . وقد كتب مقالا بعنوان : ما لم اكتب وما اريد أن اكتب قال فيه : « وقد الفت عن ابن سينا وابن رشد ، وهما اكبر فلاسفة اللغة العربية في المشرق والمغرب . وبقي كتاب عن الغزالي ، الفيلسوف الذي يصارع الفلاسفة ، والفقيه الذي يؤدب الفقهاء ، والمتصوف الذي يكشف عن عالم الخفاء كما يكشف عن عالم الشهادة . وليس في المشرق والمغرب من هو ارجح فكرا ، واصفى عقلا ، واقوى دماغا ، من هذا الامام الجليل . ولولا اتساع الافق الذي تدفعنا اليه الكتابة عنه لبدأت بترجمته ونقده قبل ابن سينا وابن رشد وغيرهما من حكماء المشرق والمغرب ... »

وقد ذكر الدكتور احمد فؤاد الاهواني — رحمه الله — في معرض المقارنة بين الغزالي وابن رشد في موضوع السببية ان الغزالي ينكر الاسباب وابن رشد يثبت الاسباب وان القضية بين الغزالي وابن رشد هي قضية العلم كله وان المسلمين اتبعوا الغزالي فتأخروا وان الاوروبيين اتبعوا ابن رشد فتقدموا . وقد كتب العقاد يفند هذا الكلام قائلا : « لا شأن للعلم بهذه القضية في الحقيقة لان العلم يعنى بتسجيل المشاهدات وتقييد التجارب ، والغزالي لا ينكر المشاهدات ، ولكنه يقول ، انها تثبت الاقتران ليس الا ولا تثبت السببية على الاطلاق . ويقول ان تتابع الحوادث ليس دليلا على السببية ، وكل ما يدل عليه انها حوادث ، يقترن بعضها ببعض ولا دليل على أن السابق منها ينشيء اللاحق بعده انشاء الفاعل للمفعول . ورأي الغزالي هو الرأي الذي قال به او بما يقرب منه نيوتن صاحب مذهب الجاذبية فهو يضرب المثل بجسم يتحرك من الف الى باء ومن باء الى جيم ومن جيم الى دال فلا يمكن ان يقال في هذه الحالة ان حركة الجسم من الف الى باء هي سبب حركته التالية من باء الى جيم أو جيم الى دال . وقد عرف نيوتن السبب بأنه قوة تسلط على جسم لاحداث حركة فهو يوافق الغزالي على ان الجسم جماد لا فعل له بغير قوة مسلطة عليه وينكر الاسباب على المعنى المفهوم في اللغة الشائعة .

وجاء بعد نيوتن دافيد هيوم فقال برأي الغزالي بنصه ومعناه لانه يقول ان المشاهدات تثبت المقارنة ولا تثبت السببية على الاطلاق فالمدفع اذا اطلق رؤي بريقه قبل ان يسمع صوته ويتكرر هذا كل مرة كل اطلاق فلا يمكن ان يقال من اجل هذا ان البريق سبب الصوت وانه هو الذي احدثه في الاسماع . ويشبه هذا المثل مثل امحاب ديكارت عن ساعة تدق وساعة اخرى تدق بعدها على الدوام فلا يمكن ان يقال ان دقات الساعة الاولى هي السبب المنشيء لدقات الساعة الثانية . وهكذا كل تلاحق في الحوادث والمشاهدات . والعلم الحديث لا يذهب في تقرير الاسباب الى ابعد من القول بأنها مشاهدات مقترنة . ويقول برتراند رسل في كتابه عن تاريخ الفلسفة الاوروبية : اما فيما يخص العلوم الطبيعية ، فالقول بأن (أ) تسبب (باء) لا يقبل بحال من الاحوال وانما نميل اليه بحكم العادة والاقتران . وقد قال رينان « ان الفلسفة العربية لم تنجب عقلا مبتكرا كعقل الغزالي » ويعقب العقاد بقوله : « لو شاء رينان لقال ولم يعد الصواب ان عقل الغزالي من اكبر العقول في ميدان التفكير كله لا في ميدان الفلسفة العربية وحدها لانه يناقش مذاهب الفلسفة ، مناقشة العقل الذي يعلو عليها ، ويفهم ما فات اصحابها أن يفهموه . وليست مناقشته لها كمناقشة القاصرين عن فهمها ، والنفاذ الى براهينها ، والقدرة على استكناهها . فهو

لم ينقض قط فكرة لانه عاجز عن فهمها ، وانما ينقضها لانه قادر على فهمها ونقدها وتكميلها بالاضافة اليها والتعقيب عليها . وما كان انكاره للاسباب انكار من يعجز عن ربطها ، ومراقبة التسلسل بين مقدماتها ونتائجها . فليس أقدر منه على ربط النتائج بالمقدمات، ولكنه انكرها لانه ذهب معها الى غاية مداها فلم ير فيها الا انها مشاهدات مقترنة يسبق بعضها بعضا ، ولا ينتج من هذا السبق ضرورة ان المتقدم فيها منشىء للمتاخر في الزمان » ويختم العقاد هذا البحث بقوله : « ولسنا نعصم الغزالي من الخطا في التفكير ، ولكنا نعلم ان تخطئته من اصعب الامور ، وانها احق شيء بالتاخير الى ان تبطل معاذير الصواب فانه ليعرف ما يقول ، وانه ليقوله بعد ان يعرف كل ما يقال . »

وواضح من هذا الكلام مدى ما يكنه العقاد للغزالي من تقدير واعجاب .

سيداتي سادتي :

كتب الغزالي نحو ستين كتابا صحت نسبتها اليه ، فضلا عن مؤلفات اخرى يشك في نسبتها اليه . وتناولت مؤلفاته ميادين الفقه والفلسفة والتصوف . ولعل اشهر كتبه : احياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة والمنقذ من الضلال وشكاة الانوار .

ويغلب على اسلوبه الوضوح ، والطلاوة والاشراق .ونحن اليوم نقرا له فنحس كانه يعيش بيننا وليس يفصلنا عنه مئات السنين .وربما ظهر في اسلوبه بعض اللحن احيانا يشهد به الغزالي ويعتذر عنه بانه ما مارس فن النحو وانما اكتفى منه بما يحتاج اليه في كلامه . ورخص لمن يقراونه ان يصلحوا ما يصادفونه من اخطاء ، فقد كان همه في المقام الاول الى المعنى والمضمون . ويضرب الغزالي امثلة كثيرة توضح معانيه ، وله قدرة عجيبة على استقصاء موضوعه من اطرافه جميعا مع تحليله ، والغوص الى اعمق اعماقه . ويكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف . ويورد شواهد عديدة من شعر الحكمة والتصوف .

ولا بد لنا من وقفة عند كتابه المنقذ من الضلال وقد كتبه كما يقال وقد اناف سنه على الخمسين فهو من اواخر كتبه ، ومن اعظم كتب الاعتراف في الآداب الانسانية . يحكي فيه تطوره الفكري ، ومحنة الشك التي اصابته ، وكيف اهتدى الى اليقين بنور قذفه الله في قلبه فتجافى عن دار الغرور وانات الى دار البقاء والخلود . ويسرد في الكتاب كيف انتقل من علم الكلام الى دراسة مذهب الباطنية القائلين بالامام المستور المعصوم الى دراسة الفلسفة وازدراء بعض ميادينها وما ارتضاه اخيرا من طريق المتصوفة . يقول الغزالي:

« ولم ازل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الان وقد اناف السن على الخمسين اقتحم لجة هذا البحر العميق واخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الخذور ، اتوغل في كل مظلمة واتهجم على كل مشكلة واتقحم كل ورطة وانفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف اسرار مذهب كل طائفة لاميز بين محق ومبطل ، ومتسنن ومبتدع » . ومعنى هذا كما ترون ان الغزالي بطبعه ينفر من اسر الجمود والتقليد ، ويبحث دائما عن العلم اليقيني الذي لا يدانيه في نفسه شك او ريب .

وبدا يفكر في طرائق المعرفة واولها الحس فالفاه قاصرا خادعا ، الست ترى الى الظل امامك ساكنا وهو متحرك ، والى الكواكب تبدو صغيرة وهي اكبر من الارض فبطلت الثقة بالحس ولجا الى العقل وتساءل ان حاكم العقل يكذب حاكم الحس فمن ادرانا لعل وراء حاكم العقل حاكما آخر لا ندريه ولا نجزم باستحالته يكذب العقل ، وراى ان النفس ترى في منامها رؤى ثم تفيق فتعلم انها كانت خيالا ؟ وربما كانت يقظتنا نوما اذا قيست بحالات اخرى.وربما كانت هذه حالة الصوفية؟! والحت هذه الخواطر على الغزالي نحو شهرين ثم شفاه الله كما قال بنور قذفه في قلبه . حصر الغزالي طوائف الطالبين للحقيقة في عصره في اربع فرق :

اهل الكلام ، وهم اهل الراي والنظر . والباطنية الذين يتعلمون بالاقتباس من الامام المعصوم،والفلاسفة اهل المنطق والبرهان ، والصوفية وهم اهل المشاهدة والمكاشفة . واقبل على اهل الكلام قرا تآليفهم وصنف في مذهبهم ولم يشف ذلك غليله وتصارى هذا الفن دفاع عن عقائد اهل السنة امام اصحاب البدع . ولجا الغزالي الى الفلسفة وهو يقول : « انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي اعلمهم في اصل ذلك العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته واذ ذاك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساده حقا . » قرا الغزالي كتب الفلاسفة في نحو سنتين ثم جعل يتأملها ويفكر فيها نحو سنة اخرى وصنفهم ثلاث طوائف هي : الدهريون والطبيعيون والالهيون .

اما الدهريون فهم يقولون بقدم العالم ونواميسه، دون حاجة الى الله . ويقابلهم الماديون في عصرنا الحاضر. واما الطبيعيون فدرسوا علم الطبيعة والاحياء من نبات وحيوان . وظنوا ان حياة الحيوان تابعة لاخلاط الجسم ومزاجه ، وكذلك حياة الانسان. فزعموا ان الموت قضاء على جسم الانسان ونفسه ويقول الغزالي فيهم : « انحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام » . اما الفلاسفة الالهيون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيذكر الغزالي منهم سقراط وافلاطون وارسطو من اليونان والفارابي وابن سينا من المسلمين .ويمسك الغزالي بالقسطاس المستقيم . فيرى أن من كلام الفلاسفة الالهيين ما لا يجب انكاره وهذا يتناول المنطق والعلوم الرياضية والطبيعية ، ومسائل السياسة والاخلاق . اما الالهيات المتعلقة بالغيب ففيها كما يقول الغزالي اكثر اغاليطهم ، وعجزوا عن الوفاء بالبراهين العقلية حسب شروطهم . ولعل هذا هو الباعث الذي حفزه على تأليف كتابه « تهافت الفلاسفة » لانهم اساءوا استعمال القياس فمنعوا ما ليس يمنعه العقل واوجبوا ما ليس يوجبه العقل في امور الغيب .

ويرى الغزالي انه يجب تكفير الفلاسفة القائلين بثلاثة امور هي قدم العالم وعدم علم الله بالجزئيات — تنزه سبحانه عن ذلك — وانكار حشر الاجسام .

وكأني بالغزالي — رحمه الله — لو تحدث بلغة العصر الحديث لدعا الى الاخذ باسباب العلم قدر الطاقة على ان يترك العقل امور الغيب ، فهذا من شأن النفس المتطهرة التي تعرج الى عالم الملكوت ، وتقبس من الانوار الالهية .

وتحدث الغزالي بعد ذلك عن آراء الباطنية ودعواهم في تعاليم الامام المستور المعصوم ويسفه اقوالهم ويرى ان مذهبهم يستهوي اليه العوام وضعفاء العقول .

ثم صرف الغزالي همته الى طريق الصوفية. قرأ كتبهم وتأمل تعاليمهم ، وادرك ان طريقهم هي تزكية النفس ، وتخلية القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل ، وانه لا سبيل الى التحقق من ذلك الا بسلوك سبيلهم من المجاهدة النفسية والرياضة الروحية .

وكان الغزالي دائما على ايمان يقيني بالله والنبوة واليوم الآخر .وهنالك تعرض الغزالي لصراعه النفسي الاليم بين متاع الدنيا وغرورها ، وجاهها وشهواتها ، وبين نداء الآخرة ، حتى اعتلت صحته ، وعجز تماما عن ادائه لعمله في التدريس، ويئس من علاجه الاطباء. ولما بلغ غاية العجز التجأ كما يقول الى الله الذي يجيب المضطر اذا دعاه فسهل عليه الاعراض عن الاهل والوطن ، وخرج كما قدمنا في سياحته الروحية .

❋ وجود النفس وماهيتها

ترجم العرب في اوائل العصر العباسي — كما تعلمون — ما وصل اليهم من كتب اليونان وغيرهم من اصحاب الحضارات القديمة في فارس والهند . وليس صحيحا ما يوجه الى الفلسفة الاسلامية من اتهام بانها تأثرت بالثقافات القديمة تأثرا يخلو من التجديد والاصالة . فقد بذل العرب جهدهم في التوفيق بين الفلسفة والدين ، وكانت لهم في ميدان المعرفة الانسانية اصالة وابتكار ، فضلا عن حفظهم لهذا التراث من الضياع والاندثار . وقد اعيد نقله واحياؤه عند الاوروبيين في العصر الوسيط ، مما مهد لبعث الحضارة الحديثة .

سبق ان اشرنا في بداية حديثنا الى حكمة سقراط الخالدة « اعرف نفسك » . وقد ظهر سقراط في عهد تفشت فيه الفوضى العقلية ، وشاع فيه تأثير السفسطائيين الذين كانوا يعلمون الناس فن الجدل ، لا ابتغاء الوصول الى الحقيقة وانما ابتغاء الغلبة في ميدان الكلام وعندهم ان الحقيقة ما يحسه الانسان ليس غير وذهبوا في التاريخ مثلا على المماحكة ، والمغالطة واللجاج . وقد تصدى لهم سقراط وسعى سعيه في اصلاح الشباب .ومن عجب ان امره آل الى اتهامه بتهمة افساد الشباب . وكم في التاريخ من امثلة على ظلم الشهداء وهم من ذلك ابرياء .

كان سقراط يرى ان النفس ذات روحية قائمة بذاتها ، وهي الجوهر الحقيقي للانسان ، وانما هي تستعمل البدن اداة لها . وتتحرر النفس من اسار البدن بالموت . واذا كان سقراط قد اثبت وجود النفس، فانه يعجز عن ادراك ماهيتها . ويضرب للنفس مثلا بالاله ، الذي لا ندرك ماهيته ولا يقع تحت الحس ، ولكنا ندرك آثاره واضحة جلية .

وجاء من بعد سقراط تلميذه الوفي افلاطون الذي سبقه في اليونان فلاسفة آخرون . وكان المعروف في عصره ان الروح موجود ، وان المادة غشاء باطل مركب ، يتعرض للتغير والانحلال والفساد . فالمادة في ظاهرها باطلة متغيرة ولكنها بحقيقتها صحيحة خالدة وانما توجد الحقيقة في عالم المثل وراء الحس . تلك المثل التي تمثل النماذج الحقيقية المثالية لهذه الموجودات المحسوسة التي تحاكي المثل محاكاة الظلال والاشباح

ومن الثابت أن اليونان القدماء تأثروا بالديانات القديمة في مصر والعراق وفارس والهند والديانة الاورفية في آسيا الصغرى وهي مزيج من ديانات البلاد السابقة وتنطوي على الرياضة الروحية ، والايمان ببطلان المادة ، وعقيدة تناسخ الارواح وقد سافر افلاطون الى بلاد كثيرة منها مصر ، التي لبث فيها اكثر من عشر سنين وكان يختلف الى معابدها ويبحث عن عقائدها عند الكهنة وحملة الاسرار .

يرى افلاطون ان النفس كانت تعيش في عالم المثل سعيدة عارفة ثم ارتكبت خطيئة هبطت بعدها الى البدن تكفيرا لها . واصبحت قيود البدن ، وتوازع الحس والشهوات حجابا يمنعها من الوصول الى الحقيقة التي تتذكرها من عالم المثل . والانسان مركب من جوهرين مختلفين متمايزين هما البدن المادي

والنفس وهي جوهر روحي يستعمل الجسم على مذهب استاذه سقراط .

واعقب افلاطون تلميذه ارسطو ، ولم يكن صاحب نزعة شعرية صوفية كاستاذه ، وانما كان ميالا الى نظرة حسية واقعية . فالانسان يستخدم في المعرفة حواسه في ادراك الامور الجزئية ثم يرتقى الى ادراك الكليات المجردة . ولعله بذلك اقرب الى النظرة العلمية في تناول الظواهر الحسية . وليس من الغريب ان ينصرف ارسطو الى دراسة مظاهر النفس واثارها دون الاهتمام بماهيتها وجوهرها . وعند ارسطو ان هناك المادة او الهيولي ثم الصورة التي تعطى للهيولي ماهيتها وجوهرها فالرخام مثلا مادة او هيولي ولكن التمثال المصنوع منه صورة لمادة الرخام اعطته كماله فالصورة كمال للهيولي وهي التي تعين حقيقة هذا التمثال . وكذلك الجسم فهو مادة او هيولي ، والنفس صورته وكماله ، وهما متحدان لا ينفصلان — والجسم توجد فيه الحياة على هيئة استعداد أو قابلية اي توجد فيه بالقوة والنفس تخرج هذه الحياة من الاستعداد او القابلية او القوة الى الظهور والعيان اي ان النفس تخرج الحياة من القوة الى الفعل ولما كانت النفس صورة او كمالا للجسم عرفها ارسطو بأنها كمال اول لجسم طبيعي توجد فيه الحياة بالقوة والاتحاد بين النفس والبدن لا يجعل لاحدهما بقاء دون الاخر وهو راي ينتهي عند ارسطو الى انكار خلود النفس .

ونشير الان الى آراء الفلاسفة من المسلمين قبل الغزالي . واولهم ابو نصر الفارابي ، وقد حاول التوفيق بين ارسطو وافلاطون فقال ان النفس صورة للبدن ، ولكنها جوهره وكماله ، وكان البدن غطاء للنفس كما يكون اللباس للجسم .

اما الشيخ الرئيس ابن سينا فقد وافق فلاسفة اليونان وعارضهم فهو قد اخذ عن ارسطو تعريفه للنفس ولكنه يرى ان النفس جوهر روحي متميز واهتم ابن سينا اهتماما كبيرا باثبات وجود النفس والبرهنة على روحانيتها .

ويرى ابن سينا ان الجسم المادي ليس مصدر الحركة ، وانما يتقبلها من النفس فهي التي تحركه ولزم ان تختلف في جوهرها عنه . والانسان يمتاز بالنطق والانفعالات النفسية وتصور المجردات وليس هذا من شان المادة — كما ان الجسم يتعرض دائما لعوامل التغير والانحلال ، وانحطاط القوى البدنية وقد يبتر عضو من اعضائه ، ولكن النفس باقية على ادراكها لا تتعرض لهذا النقص والتشويه — وكذلك يستمر اتصال الحياة العقلية والنفسية في الماضي والحاضر والمستقبل وهو راي سبق به ابن عصره واقترب من الآراء النفسية المعاصرة .

ويضرب ابن سينا امالة تقرب الموضوع الى الذهن — فيقول ان اعضاء الجسم في علاقتها بالنفس تشبه الملابس التي يرتديها الانسان . فالانسان يألف ملابسه حتى لا يكاد يحسها . وهو يميز ملابسه عند اطراحها . ونحن — اصحاب النظارات — نحس ذلك في انفسنا فانا الان لا احس انني اضع على انفي شيئا . وذلك لطول الالفة . وكذلك الجسم فهو تيار للنفس . ونحن لا نتخيل انفسنا عارية من الاجسام . وواضح ان هذا الراي مشابه لراي الفارابي الذي يقول : « ان لك منك — فضلا عن لباسك — غطاء من البدن فاجتهد ان ترفع الحجاب وتتجرد وحينئذ تلحق فلا تسأل عما تباشره فان المت فويل لك وان سلمت فطوبي لك وانت في بدنك كأنك لست في بدنك » .

والمثل الرائع الذي ابتكره ابن سينا في البرهنة على وجود النفس هو مثل الرجل الطائر فلو تخيلنا انسانا يهوى في الخلاء او الهواء دون ان يحس تلامس اعضائه او مصادمة الهواء فهو لا يغفل عن ادراكه لوجود ذاته وان غفل عن اعضائه . ونحن الان في عصر الفضاء نعلم ان رواد الفضاء يصلون الى مرحلة انعدام الوزن ولكنهم كما نعرف لا يغفلون عن ادراك ذواتهم ونفوسهم ، والحق ان ابن سينا سبق ديكارت بقرون طويلة عندما جعل الفكر حقيقة الانسان وقال قولته الشهيرة : انا افكر اذن انا موجود هذه هي براهين ابن سينا على وجود النفس ونذكر الان براهينه على روحانيتها . من الامور المألوفة ان الانسان يزداد مع السن خبرة ونضجا ، ولكن قواه الجسمية تأخذ في الضعف والهبوط فهذا يدل على ان النفس جوهر روحي مستقل ولولا ذلك لاصابها ما اصاب الجسم من الذبول . واذا كانت النفس مشغولة بأمر البدن ، فان ما يصيبه من مرض قد يؤدي الى ضعف القوى النفسية والعقلية حتى يبرأ الجسم وعندئذ تعود للنفس حالتها من السواء والاعتدال . والبرهان الثاني ان الظواهر الجسمية تشغل حيزا من الجسم لكن الظواهر النفسية تقاس بالزمان — كذلك نلاحظ ان النفس تدرك ذاتها وتدرك انها تدرك بينا نجد ان اعضاء الحس كالعين مثلا هي ادوات لنقل الاحاسيس دون ان تستطيع ادراك معناها ، وانما تتأثر بالمؤثرات التي تكون مهيأة بتركيبها للتأثر بها — وهذه الآراء التي ذهب اليها ابن سينا تتفق مع الدراسات الحديثة .

نخلص الان الى الغزالي فنجده في مقدمة كتابه معارج القدس في معرفة مدارج النفس يشرح معاني اربعة الفاظ مترادفة على النفس هي النفس والقلب والروح والعقل .

اما النفس فلها معنيان : المعنى الاول يجمع الصفات الذميمة وهي القوى الحيوانية التي تقابل القوى العقلية عند الصوفية والى هذا يشير الحديث

الشريف : اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك .. اما المعنى الثاني فيراد به حقيقة الآدمي وذاته فان نفس كل شيء حقيقة وهي الجوهر الذي تحل فيه المعقولات من عالم الملكوت فاذا كانت تولى شطر الحق وتتقبل الفيض الالهي وتتنزل عليها السكينة فهي النفس المطمئنة والى هذا يشير القرآن الكريم « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » فاذا تشب الصراع بين نزعات النفس وقواها ، تارة صوب عالم القدس والملكوت ، وتارة اخرى نحو الشهوات وتذبذبت النفس بين الانتصار على الشهوة والخضوع لها ، كانت هي النفس اللوامة وهي حالة اغلب الناس . ويذكر الغزالي نوعا اخيرا من النفوس فيقول : ومن اتضع حتى صار في حضيض البهائم فلو تصور كلب او حمار منتصب القامة متكلم ، لكان هو اياه لانسلاخه عن الفضائل الانسانية وعدم مشاركته للانسان الا بالصورة التخطيطية ، وهذه هي النفس الامارة بالسوء ومثل هذه النفس تراها ابدا عبدا لحجر او مدر او بهيمة او ظعينة وهذا هو الذي اخبر عند الله سبحانه وتعالى فقال : « ان النفس لامارة بالسوء » .

اما القلب فله عند الغزالي معنيان الاول هو العضو الذي يدفع الدم في الجسم ومكانه في الصدر ولا يختص به الانسان وحده وانما يوجد في الحيوان — اما المعنى الثاني فيراد به روح الانسان الذي يحمل الامانة ويتحلى بالمعرفة .

اما الروح فهي تعني عنده بخارا لطيفا يصعد من القلب الى جميع انحاء الجسم فتؤدي وظائفها . كما تدل الروح على نفس الانسان التي تتلقى العلوم والوحي والالهام . كما تعني الروح روح القدس وهو جبريل عليه السلام ويراد بالروح ايضا القرآن فالروح على الجملة ما يكون به حياة عقلية او جسمية .

اما العقل فيطلق على العقل الاول في نظرية الفيض عند فلاسفة المسلمين وهو اول المخلوقات ويطلق على النفس باعتبارها من عالم المعقولات ويطلق على احدى صفات النفس وهي الادراك العقلي .

ويذكر الغزالي انه يستخدم هذه الالفاظ الاربعة : النفس والقلب والروح والعقل بمعنى مترادف يعني به حقيقة النفس في موضوع حديثنا .

والغزالي في تعريفه للنفس تأثر بابن سينا فيقول الغزالي عن النفس : انها الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يعقل الافاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالراي ومن جهة ما يدرك الامور الكلية .

وبراهين الغزالي على وجود النفس يستمدها اولا من الشرع والدين ثم من العقل . وهو يقول: «ان جميع خطابات الشرع تدل على ان النفس جوهر ، وكذلك العقوبات الواردة في الشرع بعد الممات تدل ان النفس جوهر فان الالم وان حل بالبدن فلاجل النفس ثم للنفس عذاب اخر يخصه وذلك كالخزي والحسرة والم الفراق .. » .

اما براهين العقل فهو يتابع ابن سينا في آرائه فيشير الى برهان استمرار النفس وتغير البدن ويذكر برهان الرجل الطائر ويراه برهانا خاصا لاهل الفطانة ومن فيه لطف الفهم والاصابة ويتفق الغزالي مع ابن سينا في التدليل على جوهر النفس الروحاني بظاهرة الادراك العقلي . فالعقل يدرك الاشياء الخارجية ويدرك نفسه ويعي هذا الادراك لنفسه ، اما الحواس فلا تدرك نفسها الا في مرآة كما ترى صورة العين امامك في مرآة . كما يدرك العقل الحقائق الرياضية كالاعداد ولا نهاية لها فضلا عن ادراك المعقولات المجردة .

تلك هي خلاصة الاراء حول تعريف النفس وانها جوهر روحاني يختلف عن البدن .

* وظائف النفس وعلاقتها بالبدن

وننتقل الآن الى الحديث عن وظائف النفس وعلاقتها بالبدن :

عند افلاطون ان النفس لها وظائف تتعلق بالجسم والقوى العقلية ويجعل لهذه الوظائف اماكن مختلفة في الجسم . فالنفس العاقلة في الدماغ ، والنفس الحاسة في الصدر ، والنفس الشهوانية في البطن . وهذا الاختلاف ينشأ حسب العوائق التي تعترض وظائفها المختلفة ، وما يتبع ذلك من قدرة على التجريد . وراي افلاطون شبيه بآراء البراهمة الهنود . والنفس كانت في عالم المثل تعرف كل شيء . وانما انساها ذلك ان هبطت الى سجن البدن . وهي تدرك في الدنيا عندما تتذكر ما سبق لها ان علمته ، فالمعرفة على ذلك فطرية وهي تذكر للماضي .

اما ارسطو فهو يعني بالنفس القوة الحيوية فللنبات نفس وللحيوان نفس وللانسان نفس لها القوة الغذائية والحسية والارادية والعقلية وهي ارقاها واقربها الى التجريد . والعقل عند ارسطو نوعان : العقل الهيولاني وهو الذي يستعد لقبول الصور العقلية ، ثم العقل الفعال الذي يخرج المعاني بالقاء الضوء على الصور الخيالية . ومهما يكن من شيء ، فقد ترك ارسطو مشكلة العقل غامضة .

واذا بلغنا الفلاسفة المسلمين نجد الفارابي يأخذ بنظرية الفيض في الخلق . فالله اصل الوجود وعنه يفيض العقل الاول ومنه تفيض العقول المتدرجة حتى العقل العاشر وهو العقل الفعال يشرف على فلك القمر وما دونه من الكائنات . والعقول العشرة هي الملائكة والعقل الفعال هو الروح الامين او جبريل . والنفوس

الجزئية من فيض العقل الفعال ، وهي نفوس النبات والحيوان والانسان تتدرج في التطور والارتقاء من وظائف التغذية والنمو والتكاثر في النبات الى ما يزيد عليها في الحيوان من الحركة والاحساس حفظا لحياته ودفعا لاسباب هلاكه . وتبلغ ارقاها في الانسان نحو القوة الخلقية والانسانية في تحصيل المعرفة — ويترقى العقل عند الفارابي حسب درجة اتصاله بالحياة الجسدية — فاول مراتب العقل وادناها العقل الهيولاني ، ويتعلق بالغريزة والاحاس ، وهو مشترك بين الحيوان والانسان ثم يترقى العقل الهيولاني الى العقل بالملكة ، ويختص بالمعلومات من التجارب الحسية والمعارف المادية . ثم يترقى الى العقل بالفعل وهو عقل الكليات المجردة وهو نفحة من العقل الفعال وفيض من الوجود الاول وهو الله .

اما الشيخ الرئيس ابن سينا فقد تابع ارسطو والفارابي في القول بتفاوت القوى النفسية في النبات والحيوان والانسان . وللنفس اعضاء للحس تنقل اليها صور الاشياء الخارجية ، وملكات باطنة كالمصورة والمفكرة والتوهم والذاكرة . كما ان للنفس قوتين احداهما تدبر امور البدن والاخرى هي العقل . ويزيد ابن سينا على مراتب العقل الثلاثة عند الفارابي مرتبة رابعة هي العقل المستفاد ، عند اتصال العقل بالفعل بالعقل الفعال وتلك هي الغاية التي يبلغها العارفون والصديقون .

وامامنا الغزالي ينسج على منوال ابن سينا في تقسيم النفس وتدرج وظائفها فالنفس تتجه الى البدن تسوس اموره ، وتتجه الى الملأ الاعلى فتنتقش بما فيه .

والعقل عند الغزالي اربع مراتب كذلك تترقى من العقل الهيولاني وهو الاستعداد المحض للادراك كما نجده عند الصبيان مثلا ، ثم نبلغ العقل بالملكة وهو الذي يدرك المعاني البديهة ، ومن امثلة ذلك ان الشيء لا يكون موجودا ومعدوما في ان واحد ، وان الكلام لا يكون صدقا وكذبا . والمرتبة الثالثة هي العقل بالفعل وهو قدرة الانسان على استحضار الصور العقلية والمعاني التي سبق اكتسابها . ويلي ذلك المرتبة الرابعة وهي العقل المستفاد عندما تتمثل المعاني في الذهن ، وسمي كذلك لانه يستفيد هذه المعاني من العقل الفعال وهو احد الاسباب الالهية ويعتبره الغزالي من الملائكة .

* خلود النفس :

سيداتي سادتي :

تلك هي النفس في وجودها وماهيتها ووظائفها وعلاقاتها بالبدن فما هو مصيرها بعد الموت ؟ اهي تفنى بفناء الجسم او تنتقل الى عالم البقاء والخلود ؟

روى افلاطون عن استاذه سقراط عندما قدموا اليه كأس السم انه قال لمن حوله « اني اترككم كما اترك آلهة هذه الدنيا دون ان اشعر بألم او غضب وذلك لاني موقن انني سوف القى هناك آلهة خيرين واصدقاء خيرين ايضا » .

واقتفى افلاطون اثر استاذه في الايمان بالخلود وجد في التماس البراهين على ذلك ومنها ان النفس بطبعها ذات حياة لا تتعرض للفساد وان النقائض من حقائق الوجود فالحياة يعقبها الموت ثم تتلوه الحياة . والنفس من عالم المثل وجواهره بسيطة خالدة . والنفس فكر محض وعقل خالص . ولعل اروع براهين افلاطون على الخلود هو البرهان الخلقي فان كثيرين من اصحاب الفضل والنفوس الخيرة يلقون في الدنيا صنوفا من الالم والعذاب والشقاء فلا بد من حياة اخرى يلقون فيها الجزاء الحق ولولا ذلك لكانت حياتنا عبثا ما بعده عبث . لكن افلاطون كان يؤمن بالتناسخ فتعود النفس الى سلسلة متلاحقة من الاجسام تكفيرا عن ذنوبها وخطاياها حتى يتم تطهيرها .

اما ارسطو فقد كفانا مئونة الحديث لانه كان يقول باتحاد النفس والجسم اتحادا تاما فاذا فنى الجسم فنيت النفس . كان ارسطو — سامحه الله — كثير النظر الى الارض على نقيض استاذه افلاطون الذي اطال التحليق في عالم السماء .

ولفيلسوفنا الفارابي راي غريب في الخلود خلاصته ان النفوس الخيرة تتحد في النفس الكلية بعد خروجها من الاجسام اما النفوس الشريرة المتعلقة بالاجسام والشهوات فتنحط الى درجة العدم . وهو ينكر التناسخ الذي قال به افلاطون ولا يرى ان النفس قديمة ، وانما تخلق عند استعداد الجسم لقبولها .

اما ابن سينا فقريب من افلاطون في براهينه على الخلود . وهي ان الجسم والنفس جوهران منفصلان لا تفسد النفس او تفنى بفساد الجسم وفنائه . كما ان النفس جوهر بسيط لا يقبل الفساد وهي حياة بطبيعتها . والنفس تشبه عالم العقول في الملأ الاعلى ، وهي باقية كبقائهم . ويضرب مثلا بالنفس عندما تتعطل الحواس في النوم ، اذ تبقى النفس ولها ان تنال من عالم الغيب .

وتنقسم النفوس عند ابن سينا بعد الموت ومفارقة الاجسام الى ثلاثة اقسام :

اولها منزلة من بلغوا غاية الكمال في المعرفة والفضيلة وهم في اعلى درجات النعيم ويصدق فيهم قول الله « والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم » .

والمنزلة الثانية تتعلق بطبيعة المتوسطين من الناس وهم يحتاجون الى ازمنة حتى تتطهر نفوسهم فيصبحوا من اصحاب الميمنة . والمنزلة الثالثة يوجد فيها المنكرون

الفاسقون الغارقون في ادران الشهوات .

وينكر ابن سينا فكرة النفس الكلية عند الفارابي ، ويفندها ، وهو يؤمن بخلود النفوس الفردية . وينكر كذلك تناسخ الارواح ويرى ان النفس تحل في البدن عند تهيؤه لقبولها .

اما الغزالي فخلود النفس عنده يستمد براهينه من الشرع والعقل « اما الادلة الشرعية فمنها قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » ومعلوم ان من كان حيا مرزوقا فرحا مستبشرا لا يكون ميتا معدوما وكذلك قوله تعالى : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء » ويقول الغزالي : وقد ترسخ في جميع عقائد اهل الاسلام هذا فان رسول المغفرة والرحمة لمن يكون باقيا لا لمن يكون فانيا . وكذلك اهداء الصدقة فاعتقادهم انها تصل اليه ، وكذلك المنامات فكل ذلك دليل على انها باقية » ــ اما البراهين العقلية فهي بعينها براهين ابن سينا . وتتفاوت مصائر النفوس بعد الموت والغزالي يتفق مع ابن سينا في المصير فالنفوس التي جمعت بين الكمال في العلم والعمل تبلغ غاية السعادة والنفوس التي خلطت عملا صالحا بالشهوات والرذائل فيتفاوت نصيبها من الاسى والعذاب حتى تتدارك ما فاتها وتتطهر . اما النفوس الكافرة التي جحدت الحق وتعصبت للباطل فهي خالدة في العذاب . وكذلك يؤمن الغزالي ببقاء النفس الفردية ويهاجم فكرة النفس الكلية هجوما شديدا فضلا عن انكاره للتناسخ .

* رسالة الانسان :

سيداتي سادتي :

اذا كانت النفس خالدة باقية فما هي رسالة الانسان وامانته في هذه الحياة الدنيا ؟ لا ريب ان تزكية النفس وتطهيرها بالايمان والفضيلة والحكمة هي التي تعرج بالانسان الى الآفاق الانسانية العليا . واذا كانت خطتنا في هذا الحديث ان نتدرج من السابقين حتى نصل الى الغزالي فلنختم حديثنا على هذا النحو .

شيخنا افلاطون يضع الحكمة والمعرفة على قمة العوامل التي تطهر النفس . ولا يفوق ذلك الا الحب المثالي الذي يشرق على النفس من الفيض الالهي فترتقى من حب الجمال الحسي الى الحب المطلق للمثل الخالدة ، وكذلك الفضائل الخلقية التي لا تقتصر على الاهل والاصدقاء ، بل تشمل الاعداء على السواء .

والفارابي يرى ان سعادة الانسان تكون في الاتصال بالعقل الفعال . ويبلغ الانسان هذه المرتبة بالتهيؤ والاستعداد ، والمثابرة على الارتقاء في الحكمة والمعرفة من الطبيعيات الى الرياضيات الى الالهيات . واعلى درجات الاتصال تكون عند الانبياء وهي تتم بالوحي والالهام .

والشيخ الرئيس ابن سينا يرى ان النفس هبطت الى البدن لا للتكفير عن خطيئة سابقة وانما لترتقى في المعرفة وتتحلى بالفضيلة وتستخدم البدن آلتها في ذلك ولنستمع اليه يقول : « ان مجيئنا الى هذا العالم لم يكن باختيارنا وارادتنا ولكن جئنا . وبالقهر نمكث وبالقهر نخرج وانما جئنا بها للتمحيص والتطهير ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . وطهارة النفس انما تكون بالعمل الشرعي والعلم الالهي كما ان طهارة الجسد تكون بالماء والتراب » ويقول عن النفس ايضا « انها جوهر روحي فاض على هذا القالب واحياه ، واتخذه آلة في اكتساب المعارف والعلوم حتى يستكمل جوهره بها ويصير عارفا بربه عالما بحقائق معلوماته ، فيستعد بذلك للرجوع الى حضرته ويصير ملكا من ملائكته في سعادة لا نهاية لها ، وهذا هو مذهب الحكماء الالهيين والعلماء الربانيين . ووافقهم في ذلك جماعة من ارباب الرياضة واصحاب المكاشفة فانهم شاهدوا جوهر انفسهم عند انسلاخهم من ابدانهم واتصالهم بالانوار الالهية » .

وعند ابن سينا ان سعادة الانسان وكماله في الاتصال بالعقل الفعال من طريقين : طريق التأمل الصادق والفكر الصحيح ، وهي طريقة الفلاسفة والحكماء . كما يتصل به الانسان من طريق التنسك والرياضة الروحية ، وهي سبيل النساك والصالحين .

وقد خصص ابن سينا الجزء الاخير من كتابه « الاشارات والتنبيهات » للحديث عن التصوف وتعد كتابته في هذا الباب من اجمل ما خلفته الفلسفة الاسلامية وهو يتحدث عن التجريد والبهجة والسعادة ومقامات العارفين واسرار الايات والكرامات ويشرح نظرية الاتصال بالعقل الفعال . واحب ان تشاركوني في اللذة العقلية العليا عندما نذكر بعض فقراته :

« والعارفون المتنزهون اذا وضع عنهم درن مقارنة البدن ، وانفكوا عن الشواغل خلصوا الى عالم القدس والسعادة وانتقشوا بالكمال الاعلى وحصلت لهم اللذة العليا وقد جربتها . » ويقول « المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما والمنصرف بفكرة الى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق في سره يخص باسم العارف وقد يتركب بعض هذه مع بعض » .

ويقول في التصوف وانه سبيل الخاصة والاصفياء : « جل جناب الحق ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولذلك فان ما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل عبرة للمحصل فمن سمعه فاشمأز منه فليتهم نفسه فلعلها لا تناسبه وكل ميسر لما خلق له »

ومن المعروف عن ابن سينا انه كان يفزع الى الصلاة ويضرع الى مبدع الكل ان يلهمه حل ما يعضل عليه من مشكلات العلم والفلسفة وكان يؤمن بالكرامات قضية عقلية فلسفية لا ايمان التصديق البسيط .

وخاتمة المطاف ان نذكر آراء الغزالي في التربية النفسية وكتابه الكبير احياء علوم الدين مرجع في هذا الباب جعله في اربعة اقسام تناول في الاول منها امور العبادات وفي الثاني العلاقات الاجتماعية ويكفي في الدلالة على رحابة فكره وسعة افقه انه اباح العزل — وكان طريقتهم في منع الحمل — لاسباب منها الخوف على جمال المراة وصحتها واتقاء للحرج في تربية العديد من الاطفال مما يدفع بالرجل الى شبهات المفاسد في كسب العيش . ويتحدث الغزالي في القسم الثالث عن الاخلاق الذميمة والشهوات الحسية والتعلق باسباب الدنيا تعلقا يخسر فيه الانسان دينه وآخرته ثم يختم بالقسم الرابع عن مقامات السالكين في طريق الله واحوالهم .

واذا كان التصوف عند ابن سينا قد غلب عليه الطابع النظري الفلسفي فان التصوف عند الغزالي قد غلب عليه جانب السلوك والتربية النفسية ، وحياة الغزالي الشخصية تشهد بذلك وان كان يؤكد اهمية العلم والعمل معا ويبلغ بالعقل غايته ثم ينتهي الى التسليم بطور وراء العقل يبلغه من السائرين من بلغوا درجة العارفين .

وشرف الانسان ان يولي وجهه شطر الله وان يسعى قدر الطاقة الانسانية في التحلي بالصفات الالهية وافرد الغزالي كتابا من كتبه في ذلك وهو المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى .

وللعقل دوره في التصوف عند الغزالي يبدا في استيفاء شروط المقدمة وهي ثلاثة : تحصيل العلوم جميعا ثم الرياضة الصادقة ثم التفكير ويقول الغزالي :

«ان النفس اذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تتفكر في معلوماتها بشروط التفكير ينفتح عليها باب الغيب فالمتفكر اذا سلك سبيل الصواب يصير من ذوي الالباب وتنفتح روزنة من علم الغيب في قلبه فيصير عالما كاملا عاقلا مؤيدا »

والدور الثاني للعقل في تصوف الغزالي هو تقويم التجارب الصوفية فمن الصوفية من تغلب عليه حاله الراهنة فيشطحون في كلامهم ولذلك ينفي الغزالي فكرة الاتحاد والحلول ويرى انه لا يجوز أن تكون المكاشفات الصوفية على نحو يقضي العقل باستحالته .

وقد كتب الغزالي بعد عامين من تحوله الى التصوف الى ابي بكر محمد ابن العربي يقول :

«وان القلب اذا تطهر عن علاقة البدن بالمحسوس وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق وهذه امور لا تدرك الا بالتجربة لها عند اربابها بالكون معهم والصحبة لهم . ويرشد اليها من طريق النظر وهو ان القلب جوهر صقيل مستعد لتجلي المعلومات فيه عند مقابلتها عريا عن الحجب كالمرآة في ترائي المحسوسات عند زوال الحجب » .

وانما كانت هذه الحجب عن الغزالي هي شهوات النفس وقيود الحس وفساد التفكير والخيال . فلا جرم يصدق في الغزالي قول العقاد :

«بهذه القدرة على التجرد من النفس وعاداتها ومألوفاتها اصبح الغزالي اقدر على التجريد الذهني من المتصوف الذي لايشغل فكره باستقصاء البحث ومن الفيلسوف الذي لايروض نفسه على الفرار من تحكم الذاتية ولوازم الاشياء التي لاتفارقها في حسه وادراكه. فلا جرم كانت السليقة الصوفية فيه اداة يغلب بها الفيلسوف الذي لاتصوف عنده وكان التفكير المنتظم عنده اداة تعينه على الفهم حيث يقنع المتصوف بالتسليم . »

سيداتي سادتي :

لايسعنا في الختام الا اداء واجب الشكر للغزالي الامام فقد كان حديثنا نفحة منه واليه والمفكرين العاملين على السير بالانسانية نحو مشارف الانوار الالهية صادقين مخلصين . ومن حقكم علينا ان نشكركم على تشريفنا حاضرين ، سامعين صابرين والحمد لله رب العالمين .

الدكتور عزت شعلان
— الكويت —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مراجع البحث : —

ا — من مؤلفات الغزالي :

١ — احياء علوم الدين
٢ — المنقذ من الضلال — دكتور عبد الحليم محمود — دار الكتب الحديثة — القاهرة
٣ — معارج القدس في مدارج معرفة النفس — دار الافاق الجديدة — بيروت
٤ — المقصد الاسنى في شرح معاني اسماء الله الحسنى — دكتور فضلة شحادة — دار المشرق بيروت
٥ — مشكاة الانوار — دكتور ابو العلاء عفيفي — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة

ب — المراجع الاخرى :

٦ — في النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام — دكتور محمود قاسم — مكتبة الانجلو القاهرة

٧ ــ الشيخ الرئيس ابن سينا ــ عباس محمود العقاد ــ دارالمعارف القاهرة
٨ ــ انا ــ عباس محمود العقاد (مقال ما لم اكتب وما اريد ان اكتب) دار الكتاب العربي ــ بيروت
٩ ــ عبد القلم ــ عباس محمود العقاد (مقال الاسباب بين الغزالي وابن رشد) المكتبة العصرية ــ بيروت
١٠ ــ قيم ومعايير ــ عباس محمود العقاد (مقال العقل في الاسلام) دار الجيل ــ بيروت
١١ ــ المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ــ دكتور محمود حمدي زقزوق ــ مكتبة الانجلو القاهرة
١٢ ــ في الفلسفة الاسلامية ــ دكتور ابراهيم بيومي مدكور ــ دار المعارف ــ القاهرة
١٣ ــ الاشارات والتنبيهات لابن سينا ــ القسم الرابع ــ دكتور سليمان دنيا ــ دار المعارف ــ القاهرة .
١٤ ــ الغزالي ــ دكتور احمد الشرباصي ــ دار الجيل ــ بيروت
١٥ ــ الانسان عند الغزالي ــ دكتور علي عيسى عثمان ــ مكتبة الانجلو ــ القاهرة
١٦ ــ ابو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ــ القاهرة .

الأديب
تصدر في مطلع كل شهر
يساهم في تحريرها
أدباء العربية من المحيط إلى الخليج
تصل إليكم
الآداب والثقافة والأدبية في العالم العربي

اقتنوا صباح كل خميس
مجلة
الرائد
الصادرة عن جمعية المعلمين الكويتية

من صُوَر
التضليل والتخدير
في أدبنا المعاصر

بقلم: حارث طه الراوي

ابتليت أمتنا العربية منذ بداية الربع الاول من القرن العشرين حتى الان بأدباء كبار من ابنائها اساءوا الى اكثر من جيل من ابرياء الشبان اساءة بالغة ظهرت آثارها في روح الخمول واليأس والشيخوخة المبكرة المتفشية في الجيل الغض . . .

فما ذنب هذا الفتى العربي ، الطري العود ، الحديث عهد بالحياة وخيرها وشرها ، نملأ فكره وقلبه وذهب حواسه بهذا الادب الخيالي المثالي المشاغب الكاذب ، الذي يبهره ببريقه ويطربه بأنغامه ويدهشه بعوالمه السحرية ، فيكرس له وقته الثمين على حساب دروسه المدرسية وعلى حساب كل ما يعود عليه بالمنفعة والخير في هذه الحياة الدنيا ، محاولا ان يعيش في أجوائه العالية النائية ، قاطعا صلته بالارض وبوطنه وامته ، متوهما انه قد بلغ مرتبة النسك والتصوف !! ، حتى اذا انطوت السنون وانهى فتانا مراحل الدراسة وواجه الحياة العملية بقسوتها التي لا ترحم وبمقتضياتها الصارمة التي لا تقر الضعف والتخاذل ، وجد نفسه غريبا في عالم غريب لا يفهم من تلك اللغة المثالية المصطنعة كلمة واحدة . انها مرحلة الاصطدام بصخرة الواقع وياله من اصطدام ويالها من صخرة . .

فلا عجب اذا ما بدأت بعد هذه المرحلة القاسية مرحلة الخيبة وما يتبعها من لعنة أولئك الادباء الخياليين الاثنيين المضللين الذين خدعوا هذه الضحية البريئة بالسياحات الخيالية في العوالم التي لا وجود لها وبالابتعاد الرهيب عن كل ما يعود عليهم وعلى وطنهم وامتهم بالخير والكرامة .

وفي طليعة هؤلاء الادباء الذين امتهنوا مهنة التخدير خلال نصف قرن الاستاذ ميخائيل نعيمة الذي اتاح له عمره الطويل اتقان فن تخدير العقول وزيادة عدد ضحايا فلسفته الرجعية الطوباوية السلبية (السلمية) المتخاذلة . . .

وسواء اكان ميخائيل نعيمة حرا في فلسفته الفردية الخيالية المتخاذلة ام كان مسيرا من قوى شيطانية اجنبية لا تريد لامتنا العربية الوحدة والقوة والتحرر والتقدم ، فان النتيجة واحدة لان المستفيد من افكاره الرجعية في النتيجة انما هو الاستعمار العالمي الاسود المتربص بكل الامم التي حطمت اصفادها حديثا وسارت في موكب الانعتاق والتقدم . . .

وعلى ذكر التقدم فان اديبنا نعيمة يعلن بكل صراحة بأنه لا يؤمن بالتقدم فهو يقول في محاضرته « الابواق المحطمة »(١) التي القاها في ٢٩ نيسان ١٩٣٣ في بيروت ما يلي بالحرف الواحد :

« ولقد نفخت مع الناس في بوق التقدم . وقلت مع الناس ان للحياة مقدمة ومؤخرة، وان الذين في مقدمتها خير من الذين في مؤخرتها . وعندما جئت ابحث عن اول القافلة وجدته مقطورا بآخرها، ووجدت الحياة تدور على ذاتها . وعلمت ان موقف الناس منها كموقف المتفرج على ينبوع متفجر من صخر . فهو لا يبصر منه الا على قدر ما تتناوله عيناه . ولو انه نظر اليه بعين خياله لابصر اوله في البحر وآخره في البحر . ولاني تعودت ان انظر بعين خيالي اصبحت لا ابصر في الناس سابقا ومسبوقا ولا افهم

(١) زاد المعاد ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٩

الناس عندما يتكلمون عن الحياة كما لو كانت ميدان سباق . ان تكن الحياة سباقا فكيف لي ولكم ان نحكم في السابق والمسبوق ونحن لا نعرف اين ابتدا السباق واين ينتهي ؟ ان من يمشي الى الامام كالذي يمشي الى الوراء . فكلاهما ما زال ماشيا ، سيعود حتما الى حيث كان .. لذلك حطمت بوق التقدم ... »

نعم يا استاذ ان الذي يمشي الى الامام كالذي يمشي الى الوراء وبالتالي فالامم الراكضة الى الامام كالامم الراكضة الى الخلف !! الا تعلم بانك تقتل جميع حوافز التقدم والانطلاق في نفوس الجيل الطري بمثل هذا اليأس الانيوني المخدر ؟ !

ومن الافكار التي روجها ميخائيل نعيمة فزرعت الضعف والتخاذل في النفوس قوله في خطبته « شركة الانسانية (٢) » :

« لا تبغضوا الشرير وابغضوا الشر . لانكم ان ابغضتم الشرير صرتم اشرارا مثله . اما اذا ابغضتم الشر فقد تقتلونه وتهتدون الى الخير ..

« لا تكرهوا الظالم ، واكرهوا الظلم . لانكم ان كرهتم الظالم كنتم ظالمين مثله ، وان احببتموه عرفتم العدل ورددتم الظالم اليه .. » .

الا يحق لكل قارىء ان يتساءل وهو في ذروة شاهقة من الدهشة : كيف افصل بين بغضي للشر وبغضي للشرير ؟ او ليس الشرير هو الشر المجسم ؟ واذا كان الشر المجرد مبغوضا الى اقصى درجات البغض فكيف اذا تجسم في انسان ؟ وكيف اصبح شريرا اذا ما ابغضت مثل هذا الانسان الذي يجسم الاذى ؟

ثم كيف افصل بين كرهي للظلم وكرهي للظالم ؟ كيف اكره الظلم من غير ان اكره الظالم وماكرهي للظلم الا نتيجة منطقية لكرهي للظالم .

والافظع من كل هذا ان الاستاذ نعيمه لا يطلب منا عدم كره الظالم وحسب بل يطلب منا ايضا ان نفتح له قلوبنا ونحبه لنعرف العدل ونرد الظالم اليه !!

★★★

ويزور الاستاذ نعيمة فلسطين سنة ١٩٣٥ ليلقي محاضرة في جمعية الشبان المسيحية في القدس في ٢٦ آذار سنة ١٩٣٥ بعنوان « سلام الله وسلام الناس » يتجاهل فيها عن عمد حقوق عرب فلسطين المضطهدين من قبل الصهاينة المجرمين وسلطات الانتداب البريطاني الغادر ، وبدلا من ان يشد ازر ابناء قومه ويحثهم على التسلح والصمود فانه يحذرهم من الحرب بصراحة قائلا :

« وها انا ادعوكم الى حرب ولا كالحروب . حرب تدور رحاها لا بينكم وبين انسان . ولا بينكم وبين شيء . بل بين انفسكم وانفسكم . بين الحيوان فيكم والانسان . حتى اذا ما تمت الغلبة للانسان اتسعت روحه وضاق (كذا) بطنه ، وهربت من قلبه كل بواعث النزاع من حقد وغضب وبغض وادعاء وصلف وانانية محصورة وكل شهوة اولها شهد وآخرها علقم. فكان في سلام مع نفسه . والانسان اذا ما سالم نفسه سالمه العالم .. » (٣) .

وفي محاضرة « ضباب التقاليد » التي القيت في الخامس من بولية (حزيران) سنة ١٩٣٥ في الحفلة السنوية لمدرسة « الفرندز » الاميركية برام الله يسخر ميخائيل نعيمة من بيت ابي الطيب الخالد :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم

ولا يتورع من تحذير الطلاب العرب الفلسطينيين من الايمان بفلسفة القوة التي هي الفلسفة الوحيدة التي تؤدي الى تحرير فلسطين وذلك بتحذيرهم من دفع الاذى عن الشرف الرفيع بالدم والاستشهاد فيقول بالحرف الواحد :

.. فالشرف الرفيع الذي لا يسلم من الاذى « حتى يراق على جوانبه الدم » ليس شرفا وليس رفيعا . ان هو الا ناب وحش ينشب في جلد وحش آخر . اما الشرف الذي هو شرف فلا يناله اذى ولا يغتسل بدماء الغير بل يستحم بدم القلب (٤) »

واثناء الحرب العالمية الثانية ، يوم كان الاستعمار الغربي مخيما على اقطار الامة العربية ، يوم كانت كل نسمة من نسمات الحرية لا تشترى الا بالضحايا ، لم يتورع ميخائيل نعيمة — ويالللاسف — من السخرية اللاذعة ببيت شوقي الخالد :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

حيث قال في كتابه « كرم على درب (٥) » :

تنادت الثيران يوما للنظر في شانها مع الانسان وفي السبيل الى التحرر من نيره . وكان بين الجمع واحد يتوقد حماسة وشعرا ، وهذا بهر الكل بحماسته وشعره واقنعهم بان الحرية تؤخذ ولا تعطى ، وان بابها المخضب بالدماء لا يقرع الا بقرون مخضبة بالدماء ، وان لا سبيل اليها الا باغتصابها في بيتها . فاتخذوه قائدا لهم ودليلا ومشوا وراءه صارخين : « الى الحرية ، الى الحرية » وما زال بهم حتى بلغ بيتا جدرانه وبابه مضرجة . فقال لهم : هذا بيتها وهذا بابه . فاقتحموا الباب ولا ترتدوا عنه وان تكسرت قرونكم وسالت دماؤكم انهارا .

« فما كان من الثيران الا ان امتثلوا

---

(٢) زاد المعاد ، ص ٤٨ — ٤٩ (٣) زاد المعاد ، ص ٩٤ (٤) زاد المعاد ، ص ٩٨

(٥) الطبعة الاولى ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٤٦ ، ص ٨٩

لامر زعيمهم فتكسرت قرونهم وسالت دماؤهم ، ولكنهم في النهاية حطموا الباب ودخلوا البيت . واذا بهم في المسلخ . » .

★ ★ ★

اما الامور التي تصطدم بأبسط قواعد المنطق والعقل فكثيرة جدا في كتاب نعيمة « مرداد » ـ الكتاب الذي تؤدي تعاليمه ـ لو طبقت ، وهيهات ان تطبق ـ الى تقويض صرح الحضارة البشرية والاجهاز على كل اسباب التقدم ومظاهره والغاء النظام القانوني الذي تواضع عليه الجنس البشري بعد ان ودع الفوضى والهمجية . ولدي عشرات بل مئات الشواهد على هذه المصائب الكامنة في سطور « مرداد » وحسبي ان اذكر مصيبة واحدة وهي مصيبة الغاء المحاكم وتسريح الحكام لتعذر توفر العدالة ـ في نظر ميخائيل نعيمة ـ في اية دعوى مقامة في اي قطر من اقطار الدنيا !! فهو يقول :

« اجتنبوا التربع في دسوت الحكم يا رفاقي . لانكم اذا ما شئتم ان تعدلوا في اي حكم على اي انسان او شيء كان لزاما عليكم ان تعرفوا الناموس وتعيشوا بمقتضاه فحسب، بل ان تفتشوا عن البينة وتمحصوها. فمن او ماذا عساكم ان تطلبوا للشهادة في قضية مطروحة بين ايديكم ؟

العلكم ترسلون مذكرة جلب الى الهواء ؟ والهواء شريك في كل ما يجري تحت قبة السماء . فان لم تسمعوا شهادته كان حكمكم باطلا . ام لعلكم تنزلون الكواكب من فضائها وتسوقونها الى المحكمة ؟ وللكواكب يد في كل ما يحدث في العالم . ام لعلكم ترسلون قواكم المسلحة لجلب الموتى من آدم حتى اليوم ؟ فلكل ميت صلة وثيقة بكل حي .

ليست الشهادة شهادة وافية صادقة ما لم تكن مستقاة من كل مصادرها . ومصدر كل شهادة هو الكون بأسره ... » الخ .. الخ ...

★ ★ ★

وبعد فهذه قطرة من بحر النماذج الخطرة لادب التضليل والتخدير الذي ينبغي ان يكون بعيدا وبعيدا جدا عن عقول ابنائنا الناشئين ، هذه العقول الطرية التي ينبغي عليها ان تتلقف الادب القومي الحي الصادق الذي يقوي الثقة بالانسان العربي الثائر على التجزئة والتخلف والمناضل في سبيل حقه المشروع في فلسطين السليبة .

حارث طه الراوي
ـ بغداد ـ

في العدد القادم

الالهيات عند الفارابي

بقلم..
عبد الكريم المراق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد مشاري العدواني



الناسك وشكوى الشيطان

١

على جدارِ غُرْفَةٍ وَضِيعَهْ
مغارةٌ لناسكٍ عاشَ معَ الطبيعَهْ
جليسُهُ الوَحْدَه
أعزلُ ما لهُ غيرُ تِلاوةِ القرآنِ عدَّهْ
قد أسكرتْهُ خمرةُ التجلّي
وغابَ في سكرتِهِ يُصلّي
فلا يرى من حولِهِ الا السماءْ
تُمطِرُ بالضياءْ
وكلُّ نقطةٍ تُنبِتُ وَرْدَهْ
تَفمُرُه بفرحٍ تُثيرُ وَجْدَهْ

٢

اطلَّ شيطانٌ عليهِ في المغارهْ
بكلِ مُغرِيات الاثمِ والدَّعارَه
امراةٍ ناريّةِ الارداف والاعطاف
محمومةِ الشارةِ والاثارَهْ
تَفُحُّ منها الفِتَنُ القَهّارَهْ
والشهوةُ الطاغيةُ الثوّاره
وشجرٍ اغصانُهُ اللؤلؤُ والمرجانْ
سناؤُه نشوانْ
يُزلزِل الكيانْ
ويبعث الاثاره
لكل من فاتتْهُ نِعَمُ الحياةِ الدنيا
وباتَ يحيا
يُرقِّعُ الفَقْرُ لَهُ دِثارَهْ

٣

اضطربَ الناسكُ وارتَبَكْ
واحدقتْ به غوائلُ الشركْ
فهَبَّ يقرأُ القرآنْ
يتلوه باللسانِ والوِجدانْ
بشوقِ عاشقٍ ولهان
اعطى حياةَ الروحِ كلَّ ما ملك
فانبعثتْ من حولِهِ مَنارَهْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واغرقتْ بنورِها القدسيِّ دارَه
فهرب الشيطانْ
يَجُرُّ ثوْبَ ذلِّه وعارَهْ
تتبعُه اللعنةُ اينما سَلَكْ ..

وظلَّ في طريقِه يصرخ يا ربي !!
الى متى قرآنُكَ الكريم ؟
يقفُ دونِيَ سدّا
فكلَّما اردتُ امراً إدّا
اتى اليَّ بالخطوبِ وفْدا
يصدُّ بقوةٍ عن الطريقِ المستقيم
فلا أُصيبَ رُشْدا
انا الذي صنعتُ من حبائلي
حكايةً اغريتُ فيها آدماً وحواءَ بايسرِ الوسائلِ
بشجرَهْ

وكان ما كان ... وفارقا مرابعَ الجِنانْ
لكنما جَبلْتَ ابناءَهما من فِطرةٍ سليمَهْ
ترفُض كلَّ فكرةٍ مُزوّره
ثم تكرمتَ عليهم ، فنزّلَ القرآن
وحال دونَ ما أُريد
اواه يا ربي من قرآنِكَ المجيد !!
ما عادَ لي على الذين آمنوا به سلطانْ

٤

..... وهكذا ضعفتْ قوةً وفكرا
وصِرتُ لا املك من شاني امرا
اضرب في مجاهلِ الزمانِ والمكانْ
ابني من الرِّمالِ قَصْرا

٥

ربي بما اغويتَني !!!
ارفقْ بشيطانٍ امينْ
وَعَدْتَهُ ، ووَعْدُكَ الحقُّ المبينْ
بان يكونَ بين المنظَرين
وان يُضِلَّ العالمين
يمكرُ سِراً تارةً وجَهْرا

٦

ربي بما اغويتني ! !
اخشى غدا
تمضي غواياتي سُدى
فلا اطيقُ ان افعلَ بالانام شرا
ولا يكون لي امرٌ ولا كلامْ
وليس لي قومٌ ولا مقامْ
وهكذا اصبح شيئاً نُكْرا
وتستظل الارضُ بالسعاده
ويقبل الناسُ عليك ،
بالصلاةِ والعباده
فلا يرون فارقاً ما بين دنيا نعِمت لهم
ولا حياةٌ اخرى

٧

ربي بما اغويتني ! !
هَبْ لي مكاناً في النفوسِ الخَيِّره
أَصُبُّ في اعماقها وسوستي المحيِّره
حتى تكونَ لي عليها سيطره
او غارفعِ القرآنْ
كيما اعيش مطلقَ الحريه
تعيثُ بالبريه
غاياتي المُدَمِّره

٨

ربي وانتَ عالمٌ بامري
قد ضاقَ في الحياةِ صدري
وانكرت راياتِيَ المنتصره
اما ترى حتى الغواة الفَجَره
جنودي الذين قد اعددتَهُم
حتى يكونوا كَفَره
اوسعتُ دنياهم لهم
حتى غدوا في كل قطرٍ امةٌ مؤمَّره
قد مردوا على شرائعي
وانكروا صنائعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكلما اصغوا الى المـــــآذنِ المكبّره
ارتجفـوا رُعبـا
وكبروا باسمك يا ربي
ورفضوا ندائـي !
الـــى الحيـــــاة المنكـــــره
بل سخروا بي قائلين
معـذره

يا انتَ اين كيـدُك المظيم
خسِئتَ يا شيطانُنـا الرجيم
مـا انـــت الا مسخـــره
فَضَحهـــا قـرآنُنا الكريـم
واخذ الانسانَ منك عُنْـوةً وحرَّره

٩

ربي وانت عالمٌ بحالي
عـــد بـي الـى سَقر
لقـد تعطلتْ اعمـالي
بـــين البشـــرْ
وانكشفـت مصـائـدي المبتكـره

١٠

ربي وانـت عالمٌ بي
عفـوك يا ربـــي
هَـبْ لي مكانا في النفوس الخـيّره
او فاقتل الشرورَ في كياني
بَعدْ اليٌّ خالصا ايماني
واستقـر في حِماكَ ناسكا او مَـلَكا
ترشدني مشاعلٌ القـرآنْ
الـــى حيـاةِ المتقـين البَـرَره
ربـي بما اغويتنـي
اغفر خطاياي واعفُ عني
ورُدَّني اليكَ يا ربي
حَسْبي الذي لقينهُ حسبي
فانـتَ ربُّ العفـوِ ربُّ المغفِـرَهْ



تصريحات

لطير الحر



شعـــر
سـليمـان
المنـيّـع
الكويت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● النورس

حين يلامس خيط شعاع القمر الازرق
ريش طيور النورس تحت حفيف الامطار
ويرش عليها المطر الاخضر
عطرا فردوسي التفحه
يعبق بالنرجس والغار
ثمة في اروقة الليل طيور
فاجاها صدا لوثها
فاغتسلت بشواظ النار
وانطلقت نحو سموات
يحرقها البرق بلا مطر
وتموت عليها الاقمار

● الصقـــر

الليلة جاء الصقر القادم من اقليم الزهر المبت
يحمل في الظلمة اخبار
ايقظني من غفلة نومـــي
كي يكشف سرا مجهولا
يفضح آلاف الاسرار
قـــال : ـــ
بان الثلج الاسود اوقف زحف الريح فحانت
عن مهنة نقل الاطيار
وغـــدت اعصارا مجنونا
ينفـــخ نيرانا خامدة
تحرق اغصان الاشجار
وتصير حريقا ابديا يجبر اطيارا وادعة
ان تترك دفء الاوكار
وهنالك اغمد مخلابا في بطن الارض ليبقرها
لكن غرابا داهمه اغمد في المهجة
منقـــــار

● البـــوم

اسمع في مرتفعات الروح نعيقا
يصدر عن بوم مشئوم يصرخ في وادي الايام
انشاعم . اقرف . اصمت
انزف افكارا ميتـــة
اخلـــع اردیـــة الاحلام .
ولاني اعرف ان نعيق الطير الاحمق لا يعني
غير الجبن الموغل في الاوهام
اصنع قنديلا من شعـــري
يكشف آفاقا مظلمـــة
يتطاول فيها الاقزام

● الطاووس

الطاؤوس الاهوج
يحسب ان الريش زهور تنمو في ضوء الاقمار
ولهذا يمشي مختالا . يرسم جنات واسعة
تنمو في فلك الافكار
لكن ما تلبث ان تسقط
في بؤرة حلم منهـــار

● الديـــك

الديك يظن بان الدنيا
تبقى ليل
ان لم تسمع صوت الديك
جذلا يرصدها منتظرا
ليلا بين غصون الايك

● القمري

في قلبي غرد قمري لا يعرف غير الازهار
يحسب ان العمر ربيع والدنيا رنة قيثار
فلهذا اثقلني طربا
حتى ادمنت الاشعار
وانا لا اعرف ما يعني
لكني اؤمن من قلبي
بنقاوة حب الاطيار
ولهذا امنحها سري
كي آخذ منها الاسرار
لاقيم بذهني مملكة لا تعرف زيف الافكار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



دعني أعترف

قصة بقلم علي زكريا الانصاري

مقدمة

القصة القصيرة المعروضة على القاريء مستمدة من واقع حياة الكويت في الماضي القريب .. ولا فضل لي فيها الا شيء من الخيال والصياغة الادبية .. وهما فيما اراه، وحسب الجهد المبذول ، الاطار المناسب لفكرة القصة ... ولذلك يسرني اهداء هذا « الاطار » الى صاحب القصة .. محقق الشرطة انذاك ، ووزير المالية حاليا ، اخي « ابو انور » مع خالص التحية والمودة والتقدير ...

« ع.ز.ا »

تناولت « استكانة » الشاي من زوجتي بعد ان فرغنا من العشاء .. ورحت ارتشف الشاي بمهل وتلذذ كأنما استشعر الدفء في هذه الليلة القارسة التي يخترق بردها العظام ... وتركز نظري على المنقلة التي توسطت الغرفة وقد اخذ جمرها يخبو وعلته طبقة من الرماد الفضي ... فلم يشع في جو الغرفة الدفء الذي ننشده ... وبحركة لا ارادية التففت « بمزويتي » ودفنت رجلي في اطرافها .. وبدا النعاس يثقل جفون الاطفال فاستسلموا الواحد بعد الاخر الى فرشهم خضوعا لسلطان النوم بعد ان استهلكوا ما في جعبتهم من حديث وصخب ولعب .. وبقيت وحدي مع زوجتي وقد ران على جو الغرفة صمت عميق لم يقطعه الا صوت الريح بين الحين والحين .. واعترى الذهن نوع من الخدر والخمول بحيث اصبح من الصعب تحديد الافكار او التصورات بدرجة كافية من الوضوح .. وكان هذا ايذانا بان ساعة النوم قد حلت .. واعلنت عن رغبتي الى زوجتي ، وفيما انا اهم بالوقوف تهيأ لي انني اسمع طرقا خفيفا على الباب ...والتفت الى زوجتي متسائلا باستغراب :

— هل سمعت الطرق ؟

فاكدت انها سمعت الطرق وهي لا تقل عني تساؤلا واستغرابا .. واستمهلتها واخذت الفانوس الزيتي بيدي وخرجت الى « الحوش » ثم توجهت الى الدهليز متلمسا طريقي في ضوء المصباح الخافت الذي كادت الرياح ان تطفئه ... وفتحت الباب فاذا بسيارة جيب ، والشرطي « سلوم » واقف بالباب .. وبادر فحياني :

— مساك الله بالخير ...

— مساك الله بالخير .. خير ان شاء الله ؟

وقال في شيء من الارتباك والتردد وكان هادئا حييا ...

ـ آسف لازعاجك في هذه الساعة ولكننا جئنا نأخذ رايك ...

ـ نعم ...

ـ انه في الحقيقة جمل ...

ـ جمل ؟ ..

ـ انه بارك في طريق الجهرة .. ونخشى ان تصطدم به السيارات ..

ولكن .. الم تستطيعوا تدبير حل ؟ .. لماذا لم تزحزحوه عن الطريق ؟ ..

ـ لقد حاولنا المستحيل .. ضربناه ولكزناه عبثا .. ثم انه معقول ...

وتبدد النوم من عيني ودب النشاط في ذهني .. فها هي ذي مشكلة تحتاج الى حل .. وقررت في داخلي ان اعاين الحال بنفسي .. وقلت :

ـ انتظروا لحظة ...

وعدت الى الغرفة وسلمت الفانوس الى زوجتي وقلت :

ـ اني خارج ..

ـ في هذه الساعة ؟ خير ؟

ـ لانقاذ الجمل ...

ـ جمل ؟ .. وما شأنك انت بالجمل ؟

ـ انه بارك في طريق السيارات ...

وعلت وجهها الدهشة وظنت اني امزح كعادتي ولم تصر على معرفة التفاصيل .. فقد اعتادت مني مثل هذه المفاجآت غير المتوقعة .. الا ان في الامر غرابة هذه المرة ... صحيح ان زوجها محقق شرطة .. ولكن علاقته هي مع الناس. .وما شأنه هو بجمل بارك ؟ ...

وكانت هذه تصوراتي السريعة لما يدور في خلدها من تاويلات ، وندت مني ضحكة لا ارادية وانا اودعها هاما بالخروج ...

★★★

وجلست بجانب السائق « مطر » .. وتحركت سيارة الجيب .. وراحت الخواطر تنشال على مخيلتي .. ساورني شعور في البداية بانني تسرعت بالخروج في هذه الليلة القارسة ... وان الامر لا يستدعي كل هذا الاهتمام .. ولن بامكاني اعطاء تعليمات للاستنجاد بمزيد من الشرطة وزحزحة الجمل عن الطريق العام حتى يسفر الصبح ونعثر على صاحب الجمل وينتهي بذلك الاشكال ..ولكن فات الاوان الان وليس من سبيل الى التراجع .. ولم يكن التراجع من طبعي .. ولذلك راحت خواطري تدور حول الجمل البارك ، وقفزت الى ذهني تساؤلات ، ولم ار بدا من الالتفات الى « سويلم » طالبا المزيد من التفاصيل ..

ـ في اي موقع من طريق الجهرة شاهدتم الجمل ؟

ـ بعد الصليبخات بقليل ؟

ـ في هذا المكان النائي ؟ ولكن صاحبه اين هو ؟ الم تبحثوا عنه ؟

ـ بل بحثنا عنه طويلا في المنطقة المجاورة ... دون جدوى .

وتدخل « مطر » هذه المرة وكان قد لزم الصمت منذ البداية ..

ـ يبدو يا « ابو ... » وكأنه واقع تحت تأثير « بنج » .. عيناه مغمضتان ... وجسده هامد .. ولولا تردد النفس لظننناه ميتا ...

وواصلت استفساراتي :

ـ هل عاينتم الجمل جيدا ؟ اليس من الجائز انه مصدوم بسيارة ؟...

وانه لهذا السبب غير قادر على الحركة ...

وتطوع « مطر » ايضا هذه المرة بالاجابة ...

ـ هذا جائز يا « ابو ... » فقد كان راسه ينزف دما ...

وبرز الى ذهني تصور للحال فقلت :

ـ الارجح ان سيارة صدمته وتركته في حالة عجز فعقله صاحبه حتى لا يؤخر القافلة على ان يعود اليه فيما بعد ...

وبدا ان الشرطي والسائق متفقان معي في تخميناتي ... وتبادلنا السجائر لقطع الوقت ومضت السيارة في طريقها قدما حتى اجتزنا بوابة الجهرة .. وعندها بدات الرحلة الشاقة ... فقد كانت الجادة الصحراوية وعرة مليئة بالمطبات والحفر والرمال ... واخذت السيارة تهتز يمينا وشمالا بعنف وضجيج وراحت تقفز بنا احيانا حتى تكاد رؤوسنا ترتطم بسقفها ثم تهوي في مطب فتتحرك اجسامنا تلقائيا معها الى الامام كأننا في سفينة تتقاذفها الامواج .. وتمسكنا بمقاعدنا جيدا .. الا ان سائقنا والحق يقال كان ماهرا خبيرا بالطريق .. وكان يحاول بقدر الامكان تحاشي الحفر والمطبات .. وحينما اشرفنا على الصليبخات خفف سرعة السيارة .. وصار يسوق بحذر وانتباه تحاشيا للمطبات الطينية .. فلو غرزت عجلات سيارتنا ـ لا سمح الله ـ في احداها لاقتضى الحال ان نبحث في هذه البرية النائية عن من يساعدنا لاخراجها وقد جئنا نقدم المساعدة ... ولكن الله سلم .. وبان الجمل اخيرا من بعد على ضوء كشاف الجيب ، كتلة منكفئة على ذاتها في وسط الجادة الوحيدة الموصلة للجهرة ... ونزلنا من السيارة وطلبت « البطارية » من سويلم وسلطت اضواءها على راس الجمل فوجدت الدم ما زال ينزف منه وقد سال على جانب راسه وقد تجمد بعضه وتخثر .. وكان مغمض العينين كأنما هو في غيبوبة دائمة .. وكان منظره يدعو الى الرثاء حقا ... وتحركت الشفقة في قلبي وداخلني عطف عميق على ماقاساه ويقاسيه من برد والم ... وقدرت أن من القسوة ان يترك هكذا يموت موتا بطيئا .. وشاع في نفسي اقتناع بأن الواجب يقضي اراحته مما هو فيه من عذاب ... كما انني قدرت الحسرة التي يمكن ان تنزل على صاحبه فيما لو عاد اليه فوجده جثة هامدة ... فهو بالنسبة اليه ثروة وخسارته كارثة ... والتفت الى الشرطي والسائق قائلا ...

ـ اعتقد ان من الحكمة ذبح الجمل باسرع وقت ... فهو ميت لا محالة

ان تركناه على هذا الحال ..
وقال « سويلم » ...
صحيح
واجاب « مطر »
ـ هذا هو الراي ...
وقلت : ولكن اين الجزار في مثل هذه الساعة ؟ .. وفي مثل هذا المكان ؟ ..
وقال « مطر » بعد لحظة صمت ..
ـ اعرف قصابا في « المرقاب » ... ويمكن اللجوء اليه ...
وبالرغم من تصوري مشقة الذهاب الى الكويت .. والعودة مرة اخرى الى هذه المنطقة النائية في هذه الليلة الليلاء القارسة ... فانني لم اتردد لحظة .. فليس هناك كما هو واضح حل آخر وقلت :
ـ هيا .. وعلى بركة الله ...

★★★

وعدنا الى الكويت مسرعين بقدر الامكان .. متحملين مشقة الطريق الوعر وقد اشتد البرد وشعرنا بوخزة في اطراف اصابع ايدينا وارجلنا ... ولففنا كوفياتنا حول رؤوسنا اتقاء للبرد حتى لم يتبد من وجوهنا الا الانوف والعيون كاننا في حالة تنكر .. وادركنا بعد لأى وعذاب « فريج المرقاب » وراحت سيارتنا تخترق ازقته المظلمة الخالية من المارة كاننا في مدينة مهجورة حتى توقفت عند بيت طيني متواضع .. وترجل « سويلم » وطرق الباب .. ولم تات استجابة من الداخل .. واعاد الطرق مرتين وثلاثا .. وشدد الضرب على « الخوخة » فوصل الى اسماعنا ضجيج من اعماق البيت كانما هو صادر من بئر سحيقة ... وتناهى الينا طرق عصا على الارض .. والتفت « سويلم » نحوي وقال :
ـ انه برجل واحدة ... ويستعين بعكاز ...
وقلت باستغراب
ـ جزار وبرجل واحدة ؟ ...
وعجبت فيما بيني وبين نفسي كيف اختار هذه المهنة التي لا تتناسب مع تكوينه الجسدي ولكن لله في خلقه شؤون .. وصاح من الداخل بصوت جهوري دون ان يفتح الباب :
ـ من ؟
ـ صديق ...
ـ لا صديق بدون اسم ؟ ... من انت ؟ ...
ـ انا « سويلم » ..
ـ لا اعرفك ..
ـ ارجوك ان تفتح ..
ـ ماذا تريد ؟
ـ جئنا نستعين بك في نحر جمل ...
ـ نحر جمل ؟ في هذه الساعة ؟ يفتح الله ...
ـ ارجوك ..
ـ لا فائدة ... تعال غدا صباحا ...
وبالرغم من طرافة الحديث الدائر فان صبري كاد ينفذ .. فليس هذا وقت الاخذ والرد ..ولسنا مستعدين للتضحية بكل ما تحملناه من جهد ووقت وعذاب بهذه السهولة .. فنزلت من الجيب وانا اكاد اكظم غيظي ، واستفسرت من « سويلم » عن اسمه فاسره الي بأن اسمه « كخ » ..
ولم اكتم نفسي فقلت :
ـ « كخ » ؟ ... وهل هذا اسم ؟
ـ « كخ » ... هكذا ينادونه ..
وابتسمت ساخرا : « كخ » ... وبرجل واحدة ... وجزار ؟ ...
وتوجهت الى الباب وانا اغالب الهزل بالجد ، وصحت باعلى صوتي بحزم :
ـ افتح يا « كخ » ... فليس هذا وقت الجدال ... والجمل ينزف وهو معرض للموت ... وسنطيب خاطرك ...
وتحرك المزلاج من الداخل محدثا بعض الضجيج .. وفتح الباب اخيرا ..
ولا ادري ما اذا كانت اللهجة الحاسمة ... ام ذكر اسمه المجرد ... ام تطييب الخاطر هو الذي دفعه الى فتح الباب ... وتبدى « كخ » من خلال ضوء الجيب عملاقا ... فتيا .. ممتكئا من عند الابط على عكاز .. وبالرغم من عاهته البارزة الا ان مظهره العام يدل على قوة وصلابة وقسوة تتفق مع عمله كجزار ... وقال وهو يفرك عينيه كانما يكافح النوم وقد بدا الضيق على وجهه ...
ـ نحر جمل في هذه الساعة ؟ .. وانا وحدي ؟ .. هذا غير ممكن ...
ـ لا عليك يا « كخ » .. سنحضر اليك من يساعدك ... وسنلبي كل ما تطلب ، المهم انقاذ الجمل قبل ان يموت... ولاحظ تلهفنا على مساعدته فادرك بغريزته حاجتنا الماسة اليه واهميته عندنا .. ويبدو ايضا ان الطمع داخله فاراد ان يستفيد من الفرصة المواتية ... فهو قبل كل شيء مطالب بأن يضحي براحته ونومه ... وان يتحمل قسوة البرد. .ويقوم بعمله في ساعةغير مناسبةله ولا بد ان تكون المكافاة في مستوى الجهد المبذول .. واتجه الينا مستفسرا متصنعا الجهل ...
ـ من منكم صاحب الجمل ؟
وقلت : ـ الجمل ملقى على قارعة الطريق ... ولا نعرف صاحبه بعد ...
واستمر في تساؤله المبطن بالدهاء ...
ولكن هب اننا ذبحناه .. وصاحبه غير موجود .. فماذا نفعل باللحم ؟..
وفاجانا السؤال واعيانا الرد الحاضر عليه ... ولم ينتظر منا الجواب ومضى قدما للوصول الى بغيته ..
ـ انا مستعد لشراء اللحم ...
وبدا لي ان اقتراحه معقول ... فماذا نفعل باللحم في هذه الساعة ؟ .. واين نحفظه ؟ ومن يحفظه ؟..ومن يضمن لنا الا يفسد حتى نعثر على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاحبه ؟ هذا اذا عثرنا عليه .. واستغل « كخ » صمتنا فاستمر قائلا بخبث ...

ـ سأعفيكم من دفع اتعاب ذبحه وسلخه ... وسأدفع لكم ثمن لحمه واتصرف بنقله وبيعه فيما بعد .

وادركت انه يستغل الظرف لصالحه ولكني وافقته على اقتراحه ... وقررت في نفسي انه لا مندوحة من الموافقة ... فلا بد من حل حاسم للمشكلة قبل ان يمضي بنا الليل دون ان نفعل شيئا ايجابيا .. وبهذا نتحاشى الكثير من المشاكل ونريح الحيوان البائس المعذب ... وعبرت له عن موافقتي وطلبت منه الاسراع فاستمهلنا ودخل البيت وهو يدب على عكازه نشيطا لاحضار عدة الذبح والسلخ .. وصحبناه معنا .. ومررنا على مديرية الشرطة واستنجدنا بمزيد من افراد الشرطة لمساعدتنا في زحزحة الجمل عن الطريق العام ... وذللت جميع العقبات ... وسارت الامور على وجه مرض ... واستغرقت العملية ساعتين ذقنا فيها من البرد والجهد ما الله به عليم ...

وعدت الى منزلي بعد منتصف الليل اثر انتهاء المهمة منهكا مكدودا ولكنني كنت مرتاحا نفسيا فقد خلصت حيوانا بائسا معذبا من موتة بطيئة قاسية ... ولم اكد انسل الى فراشي واستشعر الدفء حتى رحت في سبات عميق ...

★★★

ذهبت في صباح اليوم التالي الى مكتبي متاخرا بعض الوقت ولكني كنت اشعر بالنشاط والحيوية فقد اخذت قسطي الكافي من النوم ... وانغمرت في عملي انظر في سيل القضايا المعروضة ، وكان يجلس معي في المكتب بعض الزوار ممن لهم علاقة ببعض القضايا ينتظرون دورهم .. ودخل علي الآذن وقال :

بالباب بدوي يريد مقابلتك ...

وقلت له دون ان ارفع راسي من بعض الاوراق التي امامي :

ـ دعه ينتظر دوره ...

ولكن الآذن عاد يقول :

ـ لقد ابلغته ذلك ... ولكنه يلح في الدخول حالا .. ويقول ان الامر متعلق بجمله المفقود .. وانتقل ذهني تلقائيا من التركيز في الاوراق المعروضة امامي الى تمثل حادثة الليل ـ في لمح البرق ـ فرايت من الواجب اعطاء صاحب الجمل الاولوية في الدخول للتعرف على الملابسات ولتخفيف وطاة فقدان الجمل عليه وقلت للآذن :

ـ دعه يدخل ...

ودخل في الحال بدوي قصير ملتح اول ما يلفتك فيه عيناه الكبيرتان البراقتان اللتان لا تستقران في محجريهما كانما هو في حالة هياج دائم ... ومشيته النشيطة التي هي اشبه بالقفز منها بالمشي .. ومظاهر الجراد واللامبالاة الواضحة من تعرجاته ونظراته .. والتي تكاد تصل حد التحدي او الوقاحة .. وبدا يسهل انهدام . رث الثياب وقد تهدلت عذرته المتقطة بنقط حمراء والمنسخة على جانبي كفيه .. وبدا بالسلام ثم توجه مباشرة الى مكتبي وقال بدون مقدمات :

ـ تركت جملي البارحة معقول اليدين على طريق الجهرة وجئته هذا الصباح فلم اجد غير آثار دمائه .. وقد جئت الآن اطالب به ...

ـ ولماذا تركته يا رجل في عرض الطريق ؟

ـ اصابه الدوار فبرك ...

وتبادل الحضور النظرات وارتسمت الابتسامات على بعض الشفاه ...

ـ دوار ؟ ...

ـ دوار ...

ـ ولكنه عرض خلق الله للخطر فقد تركته في وسط الجادة وكان من الممكن ان تحدث كارثة لو اصطدمت به سيارة ...

ـ وماذا استطيع ان افعل وحدي! دارت به الدنيا فبرك ... ولم يعد بامكاني زحزحته من مكانه ...

وامام تحدي حسارته الزائدة وعدم مبالاته ورايته من الحكمة الا اشجعه على الكلام حتى لا يمضي في تماديه .. وقلت محاولا حسم الموضوع ...

ـ اخي .. ان اؤكد لك ان الحمل بخير ...

فقال في غضب وهياج :

ـ ولكن لا حق لكم في نحره .. لقد كان في حالة دوار لا تلبث ان تنتهي ويعود الى حاله الطبيعي ...

وكدت افقد صبري فصحت به مؤنبا .

ـ اتق الله يا رجل .. فقد كان الدم ينزف من راسه طول الوقت .. ولو تركناه لمات وخسرته كليا ...

ـ انكم مخطئون .. انني انا الذي فصدت راسه ...

وتدخل احد الجالسين وقال بسخرية لاذعة :

يا لها من طريقة مبتكرة للذبح ...

والتفت اليه البدوي محنقا ورد عليه بلهجة حازمة :

ـ بل كنت اعالجه ...

وقلت له مقرعا :

ـ تفصد راسه بهذه القسوة وتدع الدم يسيل منه طول الليل حتى اشرف على الموت وتسمي هذا علاجا ؟ ...

ولم يبد عليه انه ارتبك ... او تراجع .. او انهزم ... بل عاجلنا جميعا بسؤال لم يخطر على بال :

وماذا يفعل احدكم لو اصابه الدوار ؟ ...

وخيم علينا السكوت وحرنا جوابا ... الا ان صاحبنا الساخر عاد وتكلم كانما كان يحاول ان يلجيء البدوي الى شيء من الاحراج او الارتباك ...

ـ يذهب الى فراشه ويستريح ..

وقال البدوي بدون تردد ...

ـ ولكن هذا ليس علاجا ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستمر صاحبنا بلهجة فيها الكثير من التهكم اللاذع ...

ـ نفصد راسه !!! .

والتفت اليه البدوي مرة اخرى وقال مصححا ...

بل نحجمه .. وهذا عين ما فعلته بجملي .. فصدته من راسه ليخرج الدم الفاسد وينتهي منه الدوار .. وقد تدخلتم فذبحتموه وكبدتموني خسارة جسمية ... انني احتج واطالب بأن اعوض بثمن بعيري .. وهو اربعمائة روبية ...

وبدا لي ان مجال التفاهم معدوم.. فالجوة بين وجهتي نظرينا بعيدة .. ولم ارد ان اطيل الحديث فيما لا جدوى منه ولا نتيجة وقررت حسم الامر فاستكملت المحضر وعملت الاجراءات المتبعة في مثل هذه الحالات ... ثم احلت القضية برمتها الى النيابة موضحا فيها ملابسات الحادث والدوافع الانسانية التي الجاتنا الى التصرف على النحو الذي اشرنا اليه، واحتجاج صاحب الجمل على ذلك واتهامنا بذبح جمله بدون اذنه وموافقته ثم بيع لحمه بثمن بخس ومطالبته بالتعويض عما لحقه من ضرر .. ووصلني بعد يومين حكم قاضي النيابة وكان ضدي وضد الجزار .. فأنا متهم بأنني متضامن مع الجزار لانني بعت لحم الجمل ـ وهو لا يخصني ـ بثمن بخس .. وكان من الواجب ان ادعه (اي الجمل) يموت بالطريقة التي ارادها له صاحبه ... والجزار متهم باستغلال الظرف لانه دفع ثمنا بخسا مع انه خبير بالجمال وعارف باثمانها .. اما الدوافع الانسانية التي الجاتنا الى التصرف على النحو الذي ذكرناه .. واما ما تحملناه من جهد ومشقة وتضحية بوحي مشاعرنا النبيلة الخيرة فلم يرد ذكره في حكم قاضي النيابة ... ورضخنا جميعا للحكم ، وهل يسعنا غير ذلك ؟ .. وهتفت في اعماقي وانا استوعب مغزى الحكم كأنما احدث نفسي : لا تبتئس ... فلست اول من امتحن بالتجربة ... فقد سبقك اليها من قال : ما كل مجتهد مصيب ...

علي زكريا الانصاري

ـ موسكو ـ

٢٤٠ صفحة من القطع الكبير **تقدم مقالات ودراسات وبحوثا في الشؤون** السياسية والثقافية **والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية** للقضية الفلسطينية وللشعب **الفلسطيني وللصهيونية واسرائيل ، الى** جانب **الابواب الشهرية الثابتة التي تسجل الاحداث والنشاطات** الفلسطينية المختلفة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شؤون فلسطينية

مجلة شهرية فكرية لمعالجة احداث
القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

يكتب فيها مجموعة من كبار الكتاب والمتخصصين في القضية الفلسطينية

صدر العدد الاول في مارس ١٩٧١

ثمن العدد : ٢½ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية . الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وامريكا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا . الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٦١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا : **مرابحات** ، بيروت .

المناظر الطبيعية عند "جون كونستابل"

بقلم : صبحي الشاروني ★

نحن نعرف اليوم ان المنظر الطبيعي الذي يتضمن الاشجار والحقول والانهار والجبال وما الى ذلك ، هو واحد من الموضوعات التي يستخدمها الرسام في لوحاته . . وهناك كثيرون يفضلون اقتناء لوحة لمنظر طبيعي على اخرى لوجه فتاة فاتنة او شكل ادمي متناسق او اي موضوع اخر . . .

هذه المسألة البديهية في وقتنا الحاضر لم تكن كذلك حتى مطلع القرن الثامن عشر . . لقد ظل تصوير المناظر الطبيعية مهملا لعدة قرون . . وهي لم تكن تظهر في فن الرسم الا كخلفية للوحة تحتل بؤرتها او مقدمتها احداث واشخاص . لقد ظل تصوير الاشخاص يحتل احترام الجميع ، بينما كان المفهوم السائد في اوروبا ان الناس وحدهم هم الجديرون بالتصوير ، وذلك لعدة مئات من السنين . . .

وهناك لوحات من عصر النهضة تدور احداثها في الخلاء . . في تلك اللوحات تبدو الشخصيات في مقدمة اللوحة منفصلة عن المنظر الطبيعي في الخلفية ، وكان هؤلاء الاشخاص قد رسموا على لوحة مستقلة ثم لصقوا على تلك الخلفية . . أوضح مثال لذلك هو لوحة «بعث السيد المسيح من القبر» للفنان « بييرو ديلا فرانشيسكا » التي رسمت عام ١٤٦٠ ميلادية .

وبعد ذلك عرفت المناظر الطبيعية عند مصور بارع هو « البريشت دورر » الالماني ، وان ظلت من انواع التصوير الثانوية بعد ذلك . . ولكن التطور في هذا الفن ادى الى ظهور نوع من اللوحات تسمى « بيتوريسك او صور المشاهد الطبيعية الكلاسيكية » . . وفيها يهدف الفنان الى تصوير الانسان من خلال البيئة الطبيعية التي يحيا فيها ويتنفس هواءها . . فكان المنظر الذي يملأ فراغ اللوحة يدفع المشاهد الى تأمل بؤرتها

★ صبحي الشاروني

★ ولد بالقاهرة في ٢ أبريل (نيسان) سنة ١٩٣٢ ميلادية .
★ درس بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة وحصل على بكالوريوس فن النحت عام ١٩٥٨ بتقدير امتياز .
★ عمل بالنقد في الصحافة محررا فنيا من عام ١٩٥٣ .
★ تخصص في نقد الفن التشكيلي عام ١٩٥٦ بجريدة المساء .
★ تنقل في عمله بين مجلة الاذاعة ودار روز اليوسف وجريدة الجمهورية ثم استقر بجريدة المساء القاهرية اليومية محررا لصفحة الفنون التشكيلية .
يشغل حاليا منصب رئيس القسم الفني بجريدة المساء
اصدر كتاب « عبد الهادي الجزار فنان الاساطير وعالم الفضاء » ثم كتاب « الفنان صلاح عبد الكريم » وله عدة كتب في الفن التشكيلي تحت الطبع .
حصل على الدبلوم الاول للدراسات العليا (الماجستير) في فن النحت من كلية الفنون الجميلة بالقاهرة .
يعد حاليا رسالته الفنية عن فن النحت الحديث في مصر والعراق « دراسة مقارنة » باشراف الدكتور ثروت عكاشة الوزير السابق والاستاذ الزائر « بالكوليج دي فرانس » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لوحة « دراسة لجذع شجرة دردار » .. رسمت عام ١٨٢١ بالوان زيتية على ورق ، معروضة بمتحف فيكتوريا والبرت . كان الفنان يعشق الاشجار ، وقد تحدث مرة في احدى محاضراته عن شجرة رسمها ثم ماتت فتحطم قلبه بسببها !! ويبدو الفنان المركز للشجرة في مقدمة الصورة مثيرا للغاية ، حيث درس كونستابل الطبيعة دراسة تفصيلية الى الحد الذي يختفي معه المفهوم العام للمنظر الطبيعي وهو هنا ينتبا « بالعين التي لا ترحم » الى حد النقل الفوتوغرافي للمدرسة الطبيعية التي اعقبته .

حيث الناس والاحداث .. فالاشجار والجبال والانهار والسماء هي الجو المحيط بأبطال اللوحة .. مما جعل الانسان في لوحات «البيتوريسك» مجرد عنصر بسيط من عناصر الكون ، يعبر عن انطباع الروح الانساني بما في الطبيعة من جلال وعظمه ، ذلك بعد ان ظل لمدى طويل موضوع الفن الاساسي .

وهناك نوع آخر من لوحات المناظر الطبيعية ظهر في هولندا خلال القرن السابع عشر ، وكان من خصائصه تسجيل صور الاشياء الطبيعية في دقةمتناهية وذلك بالتركيز على الصفات «الطبوغرافية» لمشاهد الطبيعية دون اي اهتمام بالتعبير عن المشاعر او بث الخيال المبدع ، هذا رغم ما تميزت به لوحات هذا النوع من دقة في تجسيد العناصر الطبيعية باسلوب كانيؤدي الى ظهور نماذج على جانب كبير من الجمال والروعة .

كان هذا هو حال المناظر الطبيعية في فن التصوير حتى ظهر في انجلترا خلال القرن الثامن عشر نوع وصف بانه : « متمرد على النظام ويميل الى تمثيل المظاهر المتغيرة في الشكل واللون تبعا لما يصيبها (المناظر الطبيعية) من تاثير النور والظل ، ويعتبر هذا النوع على النقيض من (صور المشاهد الطبيعية الكلاسيكية) التي تهتم بتمثيل مظاهر العظمة والسمو ، ويرجع السبب في ظهوره الى الريف الانجليزي الذي هام في حبه الفنانون بما فيه مناظر فطرية في تنظيمها ،وتلقائية في تنسيقها ، وما تحمله تلك المناظر من ميل الى احداث المفاجآت » .

كان «كونستابل» واحدا من مبدعي هذا النوع الجديد والمتمرد ، وكان لاعماله تاثير بالغ على صور المناظر الطبيعية خلال القرن التاسع عشر .

لقد كانت «مدرسة المناظر الطبيعية» التيازدهرت فجاة في القرن الثامن عشر هي البداية لحركة رومانتيكية اكثر اتساعا بلغت ذروتها بظهور «ووردزورث» في الادب و «كونستابل» في التصوير . وقد يكون ذلك — الى حد ما — رد فعل مواجها للتقدم الصناعي ، اذ ان الانسان لم يعد في تقدير قيمة ما يحيط به من مناظر طبيعية الا بعد ان ادرك الخطر الذي بات يهددهامن جراء مداخن المصانع ، والضواحي التي اخذت تمتد حول المدن ، وايهما يكن فان هذا التطور في التصوير على الاقل كان اولا وقبل كل شيء بمثابة ثورة ضد الطراز التقليدي المتقيد الذي كان يتسم به التصوير في ذلك العهد ..

حياة جون كونستابل

ولد جون كونستبل في ١١ يونيه ١٧٧٦ في قرية « سوفولك »بشرق « برجولت وهي واحدة من اخصب المناطق واغناها بالمزارع في انجلترا ، وكان جمالها منبعا لالهام الفنان الذي قال مرة :

«لقد اصبحت فنانا بسبب ما ترسب في ذاكرتي من انطباعات قوية في طفولتي المبكرة بهذا الجو الريفي الذي ولدت فيه» .

وكان والده طحانا ناجحا وصاحب طاحونة ، كان يتمنى ان يلتحق ابنه بالكنيسة ليصبح قسيسا .. او يمتهن مهنة اجداده كطحان .. ولكن جون عكف على فن التصوير من البداية واصر على ان يسير فيهذا الطريق .. وامام اصرار الابن على ذلك فقد وافقابوه على سفره الى لندن والالتحاق بالاكاديمية الملكيةللفنون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





لوحة « اشجار في هامبستيد » رسمها الفنان عام ١٨٢١ بالوان زيتية على قماش ، وهي معروضة حاليا بمتحف « فيكتوريا والبرت » وقد عرضت في روما عام ١٩٦٦ .. وهي اللوحة التي ينهي الفنان بها، ومع هذا فان الاستاذية في المتكلفة التي رسم بها « كونستابل » هذه المجموعة من الاشجار انما تعكس الحب الذي كان يحمله لكافة مظاهر الطبيعة .

لوحة « حقل القمح » رسمت عام ١٨٢٦ ومساحتها ١٤٢ سم × ١٢٢ سم .. معروضة في المتحف الوطنـــي بلندن .. عرضت لاول مرة بالاكاديمية الملكية عام ١٨٢٦ ثم عرضت في صالون باريس عام ١٨٢٧. ويعد وفاته اهداها مجموعة من عشاق فنه للمتحف الوطني .. ويصور طريقا ضيقا يسري بين الحقول ويفصل بين مقاطعتين .. وهو طريق طالما قطعه كونستابل خلال جولاته .. انه واحد من افضل اعماله .. واشهرها وفيها يعتني عناية هائلة بالتفاصيل الدقيقة وبالاسلوب الذي .. لقد حرص الفنان على ان يظهر الخلفية شفافة مفعمة بالنـور والهواء ، وكثيرا ما طبعت هذه اللوحة باحجام كبيرة بالالوان كمـا يقبل على نقلها الهواة في جميع انحاء العالم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجميلة في عام ١٧٩٩ ، وهناك تحت اشراف المصور «جوزيف فارينجتون» تعلم يجون كونستـــابل الاسرار التكنيكية للفنانين السابقين عليه .

وقد اسعده الحظ عندما جذب انتباه السير «جورج بومنث» ، وهو من كبار رعاة الفن فقد اعاره السير جورج بعض اللوحات المرسومة بالالوان المائية من اعمال المصور الانجليزي «جيرنين» والمصور «كلود لورين» ليدرسها ويفحصها .. وفي عام ١٧٩٤ سافر الفنان الى لندن لاول مرة ولكنه عاد بعد فترة قصيرة ليساعد والده في الطاحونة ، ولم يلتحق بالاكاديمية الملكية الا عام ١٧٩٩ .. في ذلك الوقت كان تصوير المناظر الطبيعية قد رسخ في ذهنه ، فاخذ يقضي الجزء الاكبر من وقته في دراسة اعمال مصوري المناظر الطبيعية الهولنديين امثال «روسدايـل» و «روبنز» والمصـور الانجليزي « جينسبورو » وكان لهؤلاء الثلاثـة تاثـير عظيم على كونستابل لازمه طوال حياته .

ثم كان عام ١٨١١ وهو نقطة التحول في حياته . ففي ذلك التاريخ التقى «بماريا بيكنل» ووقع في غرامها،

وبالرغم من ان اسرتها كانت تعارض زواجهما ، ومن ان كونستابل اضطر الى تصوير الاشخاص ليتمكن من جمع المال ، فانهما تزوجا في عام ١٨١٦ . وكانت ستوات زواج كونستابل هي اكثر سنوات عمره انتاجا. ومع انه كان يقضي معظم وقته في لندن ، الا انه كان يعود دائما الى قريته في الريف بمنطقة « سوفولك » ، حيث كان يستمد منها الهامه . وكانت اعظم لوحاته تعتمد على الرسوم السريعة والاسكتشات التي رسمها هناك .

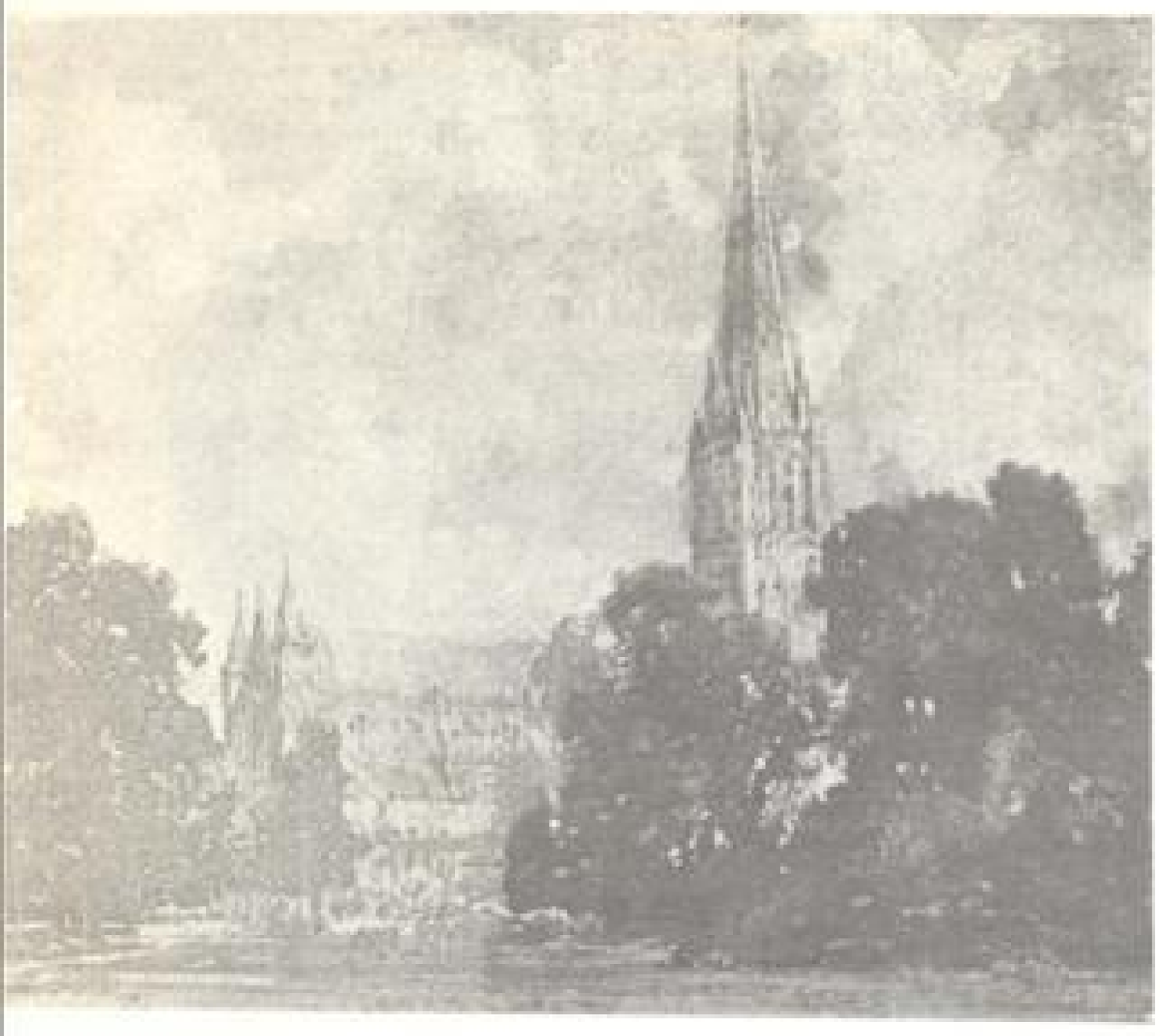
وتعتبر لوحات « كونستابل » حتى اليوم اعمالا مثيرة للغاية وممتعة في اي معرض عصري لبيع اللوحات ، فعليها حتى الان طلب كبير . وهناك عدد كبير من تجار اللوحات غير الفنية التي يرسمها هواة يقبلون على شراء وبيع اللوحات المنقولة عن اعمال كونستابل حتى ولو كانت سيئة التنفيذ .. ومع هذا فانه في سنواته الاولى لم يتمكن من الحصول على اعتراف الاكاديمية الملكية بقيمته الفنية او قيمة لوحاته .. وكانت اول مرة شارك فيها في معرض الاكاديمية الملكية في عام ١٨٠٢ . وقد اضطر الى ارسال لوحته « عربة القش » المرسومة باسلوب تأثيري الى معرض باريس في عام ١٨٢٤ لكي تحصل على جائزة ونيل التقدير اللائق بها عندما تحدث عنها «يوجين ديلاكروا» باعتبارها افضل عمل تضمنه هذا المعرض الكبير .

وفي عام ١٨٢٨ نكب الفنان بوفاة زوجته . وكانت صدمة قاسية . لم يتمكن كونستابل ان يفيق منها ابدا . حتى ان انتخابه عضوا بالاكاديمية الملكية لم يساعد على التخفيف عنه كثيرا .. وقد توفي كونستابل نجاة في « هامبستيد » في مارس ١٨٧٣ .

كونستابل مصور الريف الانجليزي

قليل من المصورين هم الذين احسوا بالريف بنفس الاحساس العميق الذي احس به كونستابل . ويتجلى ذلك — بصفة خاصة — في لوحته « عربة القش » او « عربة الدريس » . وكذلك في الامتداد الهائل المثير الذي يبرز في لوحته « خليج ويموث » وفي سحبها المتدافعة . ويتسم تصوير «كونستابل» باخلاص رائع، فقد كان دائم الاستغراق في الموضوع الذي يصوره . حتى انه قال « يجب على الفنان ان يكتشف في كل دغل وبين الشجيرات عن مواطن الجمال » . وقد صرح ذات مرة بان اكثر ما كان يحبه هو صوت خرير المياه وهي تنساب من خلال سدود الطواحين ، والاشجار المائية على حواف الجداول ، والالواح الخشبية القديمة البالية والاعمدة التي كستها الرطوبة اللزجة والجدران المبنية بالطوب ...

ويتفق الكثيرون من متابعي فنه على ان احسن



لوحة « كاتدرائية سالزبوري » رسمت بالوان زيتية على « قماش » مساحتها ٢٥ سم ×٢٠٫٢ سنتيمترا .. محفوظة في متحف فيكتوريا والبرت بلندن .

لقد زار « كونستابل » سالزبوري لاول مرة في خريف عام ١٨١١ ورسم لكاتدرائيتها تاثير بالغ عليه ، فصارت موضوع سلسلة من رسومه ولوحاته . وبمقارنة هذه اللوحة بالنسخة المشهورة التي رسمها عام ١٨٢٣ ويطلق عليها اسم : « كاتدرائية سالزبوري من بيت الاسقف » نجد ان لهذه الدراسة ميزة الحيوية والتفكارة مع عدم الانصراف الى المهارة في الاداء .. انها تتمتع بدرجة اكبر من التلقائية التي يتميز بها الفن « الانطباعي » او « التاثيري » .

لقد رسمت هذه اللوحة عام ١٨٢٠ حينما كان «جون كونستابل» في ضيافة القس جون فيشر ابن اخ الاسقف ، والفنان هنا لا يهتم كثيرا بالتكوين العام للوحة .. ولا للاسلوب الفخم الذي يحتمه التراث الترسي والهولندي السابق عليه .. انما اهتمامه ينصب على دقائق الدور والاشراق في المكان ، ومساحات اللون الاخضر الكثيف والاشجار والمروج والاحجار الذهبية اللون للكاتدرائية العارية التي رسمها .. مع لفت الانظار الى قمتها السابقة التي تناطح سماء ملبدة بالسحب التي رسمها في مساحات من اللون تتخللها مساحات فراغ شاسعة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة « منظر المنزل ذي السور » من الذي جمع عددا كبيرا من لوحات كونستابل رسمت عام ١٨١٥ وربما عام ١٨٢٢ .. فقد اختلفت الاراء حول تاريخ رسمها وحول اسمها ايضا .. ففي احد الكتالوجات اطلق عليها اسم « منزل احمر على الطريق الى التل في الصباح » بينما ان اسمها « منظر من الشرفة في هامبستيد » . وهي في النهاية احدى لوحات كونستابل الناجحة .

اعمال كونستابل تتركز في رسومه السريعة و « اسكتشاته » ولوحاته التي كان يرسمها عن الطبيعة مباشرة .

لقد كان كونستابل مؤمنا برسالته وفي نفس الوقت كان يريد أن يعيش من فنه ، لهذا اتبع اسلوبا غريبا في عمله هو رسم اسكتش او تخطيط سريع للمنظر الطبيعي الذي استقر رايه على رسمه .. وتعتبر هذه الرسوم افضل واشهر اعماله .. ثم يستخدم هذه الرسوم الاصلية كنماذج ينقل عنها خمس او ست لوحات متشابهة .. كان في الاولى يلتزم بمثله الفنية الخاصة ارضاء لذاته بينما كان يحقق في النسخ تلك القواعد التي تفرضها الاكاديمية وترضي اذواق الجماهير .

وكان كونستابل يعتبر الاصل عملا فنيا كاملا لانه يفرغ فيه ما عنده من انطباعات عن الضوء والظل والفراغ يسجلها من وجهة نظره الخاصة . فلا ينشغل بتقليد شكل الاشياء الطبيعية كما هي في الواقع ، ومعنى هذا ان الكمال الفني في لوحاته كان يتحقق — من وجهة نظره — بالاستناد الى كمال التعبير الذاتي ، لا الى الدقة في تسجيل مظاهر الاشياء .

وكان الفنان يحتفظ لنفسه بهذا النوع من لوحات التصوير لثقته بان المجتمع الانجليزي في عصره لن يقبل عليها او يقدرها ، فكان يرسل الى المعارض باحدى النسخ التي كان يتوخى في تصويرها القواعد الاكاديمية وارضاء الاذواق العامة وتحقيق التطابق التام مع الاشكال الطبيعية .

والمقارنة بين أصول اللوحات والنسخ المنقولة عنها في اعمال كونستابل تكشف بوضوح عن الفرق بين نوعين من النشاط ، احدهما فني والاخر عملي ، ففي اللوحات الاصلية نلاحظ انه اهتم بتسجيل انطباعه عن الفراغ بينها في النسخة لا يهتم الا بتطبيق قواعد علم المنظور ، وتبدو اشكال المرئيات في اللوحة الاصلية مغمورة في الضوء بوصفه العنصر الجوهري القادر على تشكيل مكونات الطراز الفني وتوحيدها في شكل جمالي ، فالضوء هو الذي يكشف عن الاشياء او يخفيها ، وهو الذي يمنحها صفة الحياة او يجردها منها ، وهو يؤكد الشخصيات او يدعها دون تحديد ، كل ذلك تبعا لعمق الانفعال الذي يتعرض له الفنان خلال التجربة ، ومدى ذلك الانفعال من الشدة او الضعف . بينما الصور المنسوخة عن الاصل تعد تمثيلا للاشياء الطبيعية لذاتها وهو اشبه ما يكون بالطابع الوصفي في النثر ، اما الاول ، فيمثل تعبيرا شبه يسا عن الضوء .

وفي متاحف لندن تنتشر اعمال كونستابل .. فنجد في متحف « الناشيونال جاليري » مجموعة من اللوحات الاصلية التي احتفظ بها الفنان وكان يرسمها اثناء لمزاجه الفني .. بينما في متحف « التيت جاليري » بلندن لوحات من تلك التي نقلها في مرسمه عن الاصل المصور عن الطبيعة مباشرة .

ويمكن اعتبار كونستابل من الفنانين القلائل بسبب لوحاته الامينة في تصويرها للواقع ، كما يوضح بين الفنانين التأثريين بسبب اعماله الاصلية التي تهتم بتأثير الضوء الطبيعي .. هذا ويعتبر كونستابل في نفس الوقت من الرواد الاوائل للرومانسية بسبب اسلوبه العاطفي في التصوير وحبه العميق لما يصوره ولان تلك الاعمال كانت من المقدمات التي دعمت المذهب الرومانسي في اوروبا .

تأثيرية كونستابل

عند فحص لوحاته نجد ان كونستابل كان يفضل دائما ان يبدا الرسم فوق قماش مدهون باللون الاحمر الداكن وبطبقة سميكة قوية اللون . وفي اسكتشاته او لوحاته الاصلية نجده يتعمد ان يترك اجزاء من هذا اللون ظاهرة في بعض المناطق بين لمسات الفرشاة ، وخاصة في المناطق ذات الظلال القوية الالوان .. وبهذا كان يكسب لوحته احساسا بالتوافق والدفء .

وكان كونستابل مجددا عظيما في كثير من النواحي اهمها استخدامه المبكر للضوء والظل . وكان المتبع في العصور السابقة بما يشبه الاجماع ان يصور الضوء اما من يسار الصورة واما من يمينها وبزاوية قدرها ٤٥ درجة . ولكن كونستابل في كثير من صوره استخدم الضوء الساقط من اعلى .. من السماء بتأثير عظيم ، فكانت اشجاره تقف في بحور عميقة ومخيفة من الظلال، وتبدو كأنها نبتت من جوف الارض ، كما تزخر اوراقها بمساراتها الحيوية ، وبندى الصباح وتطيرات الامطار العابرة .. وكان من بين الخدع التي يستخدمها لابراز هذا التأثير ، انه كان يضيف لمسات خفيفة من اللون الابيض الرقيق بين خضرة الاوراق .. وكان معاصروه يطلقون على هذه الطريقة اسم « ثلوج كونستابل » . وكانت لهذه الثلوج قدرة هائلة على التعبير عن تأثير الضوء المتلألىء ، وكانت هذه اعظم مميزاته .

كان كونستابل في حياته يجد ترحيبا بهذه الاعمال في فرنسا اكثر مما يجد في انجلترا ، حتى ان « ديلاكروا » المصور الفرنسي الرومانسي المعروف اطلق عليه لقب « والد مدرستنا لرسم المناظر الطبيعية »



لوحة رقم (٢) (وهي نفس اللوحة الملونة للغلاف)

لوحة « عربة القمح » اشهر لوحات « كونستابل » .. عرضها الفنان لاول مرة في الكلية الملكية للفنون بلندن عام ١٨٢١ ، وهي معروضة حاليا في المتحف الوطني بلندن ـ وقد نال عنها الميدالية الذهبية من صالون باريس عام ١٨٢٤ .. وكانت هذه اللوحة سببا في تجمع شباب الفنانين الفرنسيين وتكوين جماعة اطلقت على نفسها اسم « مدرسة الباربيزون » .. وقد اثنى عليها الفنان الفرنسي الشهير « يوجين ديلاكروا » . وتوجد في متحف فيكتوريا والبرت بلندن الصورة الاصلية التي رسمها الفنان عن الطبيعة مباشرة .

صبحي الشاروني
ـ القاهرة ـ

سينما ٧٥

بغداد - دمشق - بيروت

متى يصير الهلال بدرًا ؟

بقلم : سمير فريد



على العكس مما يتصور البعض اعتقد ان من واجب المسئولين عن السينما المصرية تشجيع الانتاج السينمائي في الدول العربية الاخرى وذلك بفتح السوق المصري لهذا الانتاج والعمل على دعمه بمختلف الوسائل والسبل .

ان هذا الموقف فضلا عن كونه « واجبا » يحتمه الايمان بالوحدة العربية او التكامل العربي على الاقل هو من «مصلحة» السينما المصرية . فالانتاج السينمائي في هذه الدول سوف ينمو لا محالة . ومن الافضل ان ينمو بمساعدة مصر . وليس رغما عنها لان الاسواق العربية سوف تظل اهم الاسواق للانتاج المصري بوجه خاص .

ومن ناحية اخرى فان هذا الانتاج سوف يحتل السينما العربية « اي السينما الناطقة باللغة العربية» بالدم الجديد وسوف يعمق من محلية الفيلم المصري على المدى البعيد عندما يتقلص سطوة الموزعين العرب عليه .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— من الفيلم السوري : (مطلوب رجل واحد) اخراج اللبناني : جورج نصر .

اننا لن نستطيع ان نتحدث عن سينما عربية الا اذا اصبحت هناك سينما مصرية وبقدر ما تكون السينما العراقية عراقية والمغربية مغربية .

لقد قال ظلمت حرب لعزيزة امير يوم افتتاح فيلم ليلى عام ١٩٢٧ متى يصير الهلال بدرا ؟ وقد صار الهلال بدرا . واصبحت السينما المصرية اهم سينما في العالم العربي وافريقيا والشرق الاوسط . بل ومن السينمات التي يعد تجاهلها في كتب تاريخ السينما تقصيرا ، او نوعا من العنصرية البيضاء . غير ان هذا البدر يمكن ان يعود ويصير هلالا اذا لم يدرك المسؤولون عنه المتغيرات التي تحدث في اهم اسواقه ، والموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه من هذه المتغيرات . ان الثقة في الماضي يجب ان لا تتحول الى حجاب يطمس الحاضر والمستقبل .

سينما جديدة

كان اغلب الانتاج السينمائي في الدول العربية الاخرى حتى منتصف الستينات من الافلام التسجيلية القصيرة وكان اقله من الافلام الروائية الطويلة وفيها عدا فيلم « الى ابن » الذي اخرجه جورج نصر في لبنان وفيلم « سعيد افندي » الذي اخرجه كاميران حسن في العراق وذلك في منتصف الخمسينات لا تكاد توجد افلام اخرى لها نفس اهمية هذين الفيلمين على الصعيدين الفني والفكري ، وليس على الصعيد التاريخي الذي يتضح منه ان اول فيلم روائي طويل عربي انتج في تونس عام ١٩٢٤ باسم عين الغزال وكان صاحبه يدعى شمامه شكلي وذلك كما جاء في تاريخ السينما التونسية لعمار الخليفي .

ومنذ حوالي عشر سنوات بدات الصورة تتغير تماما وخاصة بعد انشاء المؤسسات العامة في دمشق وبغداد وتونس والجزائر والمراكز التابعة للدولة في بقية الدول العربية.

وظهرت سينما عربية جديدة تلفت نظر العالم وتتمثل في انتاج حميد بناني وسهيل بن بركة في المغرب وابراهيم باباي وعبد اللطيف بن عمار في تونس وعبد العزيز الطلبي ومحمد سليم رياض في الجزائر وبرهان علوية ومارون بغدادي في لبنان وصبري الحمراوي ونبيل المالح وتيسير السهلي ونبيل المالح وسوريا ومحمد شكري جميل وعبد الهادي الراوي في العراق وخالد الصديق في الكويت وغيرهم وغيرهم ممن فازوا بالعديد من جوائز المهرجانات الدولية .

ولعل فوز الفيلم الجزائري « وقائع سنوات النار » لمخرجه محمد الاخضر هامينا بالجائزة الكبرى في مهرجان كان هذا العام ، وهي اهم جوائز السينما في العالم ، خير دليل على هذا الانتاج العربي .

بغداد : لماذا الانتظار ؟

في احد مقالاتي عن مهرجان موسكو منذ نحو شهرين عرضت للفيلم العراقي الجديد « المنعطف » اخراج جعفر علي الذي عرض خارج المسابقة في المهرجان الدولي وقلت ان المرء ليحتار وهو يفكر في وضع السينما في العراق ، فالقوى البشرية متوفرة وهناك اكثر من عشرة مخرجين تخرجوا في اكبر معاهد السينما في العالم والآلات متوفرة ، وهناك احدث آلات السينما في الوطن العربي كله، والمال متوفر وهناك ملايين مرصودة للاعلام والثقافة . ورغم توفر هذه العناصر الثلاثة فالسينما في البلد الشقيق لا تزال عند مرحلة الهلال ، وما قبل الهلال !؟

وقد حملت هذا التساؤل الى السيد طارق عزيز وزير الاعلام في بغداد فقال ان الوزارة تدرس منذ عامين انشاء مؤسسة للسينما تكون الاداة التي تحقق نتائج الجمع بين هذه العناصر الثلاثة وان الامر قد استقر اخيرا على انشاء مؤسسة مستقلة للمسرح والسينما وان هذه المؤسسة سوف تحتكر الاستيراد احتكارا تاما ولكنها لن تحتكر الانتاج او التوزيع او دور العرض . وانما ستساهم في كل منها بقدر !

وقال وزير الاعلام العراقي ان المؤسسة الجديدة سوف تكون ذات افق عربي يتمثل في تشغيل عناصر عربية عديدة داخلها ، وفي تمويل بعض المشروعات الجادة في مختلف الدول العربية . اي انها ستحل محل الموزع التجاري الذي يرفض تمويل الافلام الجادة او الافلام غير المضمونة في الاسواق العربية بوضعها الراهن. وختم الوزير تصريحه قائلا ان تسمية مدير المؤسسة واعلان خطتها الاولى سوف يتم قبل نهاية عام ١٩٧٥ . ومن الجدير بالذكر ان المؤسسة العامة للسينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون تستورد الافلام منذ عامين وتعرض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



من الفلم السوري « كفر قاسم » اخراج اللبناني برهان علوية

لحسابها في بعض الدور .

بيروت : وماذا بعد المعركة ؟

لا شك ان اهم اخبار سينما بيروت لهذا العام ان جورج نصر تمكن اخيرا من انجاز فيلمه الطويل الثالث خلال ربع قرن . وهو « مطلوب رجل واحد » . ومع الاسف فان هذا الفيلم انتاج سوري مثله مثل فيلم « كفر قاسم » اول افلام برهان علوية الذي يعرض بنجاح في باريس قبل عرضه في اي من العواصم العربية .

واقول مع الاسف لان انتاج هذين الفيلمين لمخرجيهما اللبنانيين خارج لبنان يعني ان لا مكان في لبنان لخير ابنائه . وحتى الفيلم التسجيلي «دقت ساعة التحرير» لمخرجته اللبنانية ايضا هيني سرور وهو من الافلام المعربية الهامة ليس انتاجا لبنانيا . ولعل الصورة تتغير قليلا مع انتاج «بيروت يا بيروت » اول افلام مارون بغدادي الطويلة ، والذي عرض في مهرجان جنيف لافلام الدول الناطقة بالفرنسية وهو بالطبع ليس ناطقا بالفرنسية .

وازمة السينما اللبنانية — اعني اللبنانية بالفعل وليس بالاسم — ترجع الى ان الدولة لا تزال تقف موقف المتفرج من السينما ورغم ان كل دول العالم اليوم شرقا وغربا لم تعد في هذا الموقف . صحيح ان هناك المركز الوطني للسينما بل وهناك ايضا المركز العربي الوحيد ، وهو مركز التنسيق العربي للسينما والتليفزيون ، ولكن المركز الوطني لا يملك الامكانات الكافية لتحقيق اهدافه او الاهداف التي تنشأ من اجلها المراكز الوطنية عادة .

ولعل اعادة بناء الدولة اللبنانية بعد الحرب الاهلية تشمل ضمن ما تشمل اعادة تنظيم السينما انتاجا وتوزيعا وعرضا والى حين يتم ذلك سوف تظل الطاقات البشرية الشابة تنتظر المعجزات ، ولقد كان انتاج « كفر قاسم » بالفعل نوعا من المعجزة اذ توفرت له من الظروف الحسنة ما جعله يخرج الى النور .

دمشق : هل التجربة مستمرة ؟

تعتبر السينما السورية اهم سينما طالعة في المشرق العربي ، كما تعتبر السينما الجزائرية اهم سينما طالعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اكرم نعايد في « اليازرلي » لقيس الزبيدي (سوريا)

في المغرب العربي ولقد اتيح لنا في القاهرة بواسطة الناقد فتحي فرج سكرتير جمعية نقاد السينما المصريين ان نشاهد فيلمين وصلت فيهما التجربة السورية الى الذروة اولهما « الحياة اليومية في قرية سورية » اخراج عمر اميرالاي وثانيهما « اليازرلي » اخراج قيس الزبيدي .

ففي الفيلم الاول تجربة غير مسبوقة في السينما العربية هي نتاج الموهبة الساطعة للكاتب المسرحي سعد الله ونوس ، والموهبة الجامحة للمخرج عمر اميرالاي ، والموهبة الشاملة للمونتير المصور الكاتب المخرج قيس الزبيدي . فقد قدم الثلاثة عبر ساعتين دراسة بالصوت والصورة للحياة في احدى القرى السورية ، وجاء الفيلم على درجة من الجراة والقوة والصدق اهلته ليكون اول فيلم يمنع من العرض في سوريا .

اما الفيلم الثاني « اليازرلي » فهو فيلم روائي يتحرر فيه مخرجه من كل الاشكال السائدة ويقتحم عالما جديدا تماما غير عابيء بشيء ولا حتى بالفشل . انه فيلم يفض بكارة السينما العربية ويؤكد ان السبعينات سوف تشهد في وطننا الكبير سينما تفرض وجودها على العالم كله .

ولقد وافق منع « الحياة اليومية » وعزل « اليازرلي » نقل مدير المؤسسة عبد الحميد مرعي من منصبه الى منصب آخر في وزارة التخطيط بعيدا عن وزارة الثقافة ، فهل انتهت التجربة السورية المبشرة وتوقف الهلال عن النمو ليصير بدرا ؟

ذهبت الى دمشق بحثا عن الاجابة فيما يمكن ان اشاهده في افلام جديدة فشاهدت آخر فيلمين من انتاج عبد الحميد مرعي وهما « العار » اخراج بشير صافية وبلال الصابوني ووديع يوسف و « السيد التقدمي » اخراج نبيل المالح . اما عن الافلام الطويلة الجديدة فلم يكن هناك غير فيلم واحد تحت الاعداد هو « الاتجاه المعاكس » بطولة دريد لحام وناجي جبر وهو ثلاثية [illegible] فيلم قصيرة تجربة اخرى [illegible] ثلاثة مخرجين جدد ولدتها [illegible] بالفعل الى النضج الى ابعد الحدود بل ولا تخلو من المراهقة والسذاجة وخاصة في استخدام العدسات الجديدة . ومع الاسف لم انهكن من انهام « السيد التقدمي » اذ حان موعد انعقاد احدى اللجان في نفس الصالة التي اشاهد فيها الافلام .

الافلام اذن لا تجيب على السؤال فماذا يقول مدير المؤسسة الجديدة في الاجابة عليه ؟

قال لي السيد احمد قرنة ان القطاع العام في السينما في سوريا وجد ليبقى وان خطة هذا العام انتاج ٥ افلام طويلة و١٥ فيلما قصيرا وقد تم حتى الان انتاج فيلم واحد طويل و١٢ فيلما قصيرا .

وقال ان الافلام القادمة هي « سر الدرج » اخراج صلاح دهني « وعندما يحترق الجليد » اخراج بلال الصابوني « والانزلاق » محمد شاهين وبذلك تكون المؤسسة قد قدمت ٣ مخرجين في افلامهم الطويلة الاولى خلال عام واحد باستثناء محمد شاهين .

وختم السيد قرنه تصريحه بان مؤسسة السينما اصبحت مستقلة تماما ولا تتبع وزير الثقافة وانما يرئسها مديرها كرئيس لمجلس الادارة وخلال الخطة الخمسية التي تبدا مع بداية العام القادم سوف ينتهي بناء مدينة السينما عام ١٩٧٨ وسوف يتم بناء دور عرض جديدة بمبلغ ١٥ مليون ليرة وسوف يتم انتاج ٢٥ فيلما طويلا وما يزيد عن مائة فيلم قصير من مختلف الانواع كما ستصدر المؤسسة مجلة اسبوعية للسينما ابتداء من اول يناير . ونحن لا نملك امام هذا التصريح الا الانتظار .

سمير فريد

— القاهرة —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب « ألفاظ الصوفية ومعانيها »

تأليف :
الدكتور حسن الشرقاوي

عرض وتلخيص :
عبد العزيز حبادو

كان لصدور كتاب « الفاظ الصوفية ومعانيها » ـ الذي الفه اخيرا الدكتور حسن الشرقاوي ـ اصداء عميقة الاثر بين اوساط الباحثين في مجالات الدراسات الاسلامية ، وجمهرة المثقفين بعامة ، وبين اوساط المهتمين بعلوم التصوف نظرا وسلوكا بخاصة .

وهو كتاب جد فريد ، يقدم لقرائه تعريفات وشروحات وابعادا مختلفة لمعاني الفاظ ومصطلحات الصوفية ، الذين استنوا لانفسهم منهجا ونظاما والفاظا لا يفهمها الا كل متذوق لمشارب اهل الحقيقة . وقد نوه المؤلف الى ان الاختلاف الوحيد بين الفاظ الصوفية ومصطلحاتهم ، وبين الفاظ ومصطلحات اصحاب العلوم الاخرى ، كعلم الحساب والكيمياء والهندسة مثلا ، هي ان هذه الالفاظ لا تعرف عن طريق منطق العقل والنظر فحسب ، وانما تحتاج ايضا الى الذوق والكشف ، ولا يتاتي ذلك الا لسالك يداوم على مخالفة الاهواء،وتجنب الاثام ، والبعد عن الشهوات ، واخلاص في العبادات، والسير في طريق الله بالرياضات والمجاهدات في الطاعة حتى تتكشف لهذا المريد الصادق غوامضها ، وتتجلى له معانيها ، فيتحلى بها كالجواهر الفريدة ، لا ينازعه في فهمها الا من وصل الى درجةاو جاوزها من اقرانه واساتذته في الطريق ، كما ان من يتعرف على غوامضها انما هو ذلك الذي افاض الله عليه من مننه وعطاياه .

ويعرض المؤلف ، بعض هذه الالفاظ ويشرحها شرحا مبسطا وافيا ، مستهدفا اطلاع القارىء على مفاهيمها ، حتى يستفيد الباحثون بها ، ويستنير بضوئها طلبة العلم والدراسون . كما يذكر في مقدمة كتابه ، ان الامام القشيري ـ صاحب الرسالة القشيرية ـ (في الجزء الاول ـ صفحة ٥٦) ـ يرى ان من يتامل الفاظ الصوفية ، ويتصفح كلامهم ، يجد في مجموع اقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق ـ بتامله ـ بان القوم لم يقصروا في التحقيق عن شاو ، ولم يعرجوا في الطلب عن تقصير .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود في تفسير الرسالة القشيرية : « ان اشارات الصوفية والفاظهم ليست غريبة اذن ، الا على الذين لم يخوضوا التجربة ، ولم يتذوقوا حلاوة الطريق » .

ويستجلي الدكتور الشرقاوي في كتابه هذا ، المعاني المختلفة والابعاد المتعددة لالفاظ الصوفية كما وردت في القرآن الكريم ، وكذلك كما يراها عديد من ائمة الدراسات الروحية الاسلامية ـ امثال : الامام ابي طالب المكي (قوت القلوب) ، وحجة الاسلام الامام ابي حامد الغزالي ، والامام ابي بكر محمد الكلاباذي (التعرف لمذهب اهل التصوف) ، والامام محيي الدين بن عربي (الفتوحات المكية) ، والحكيم الترمذي (ختم الاولياء) ، والامام عبد القادر الجيلاني (الفتح الرباني والفيض الرحماني) ، وشهاب الدين السهروردي (هياكل النور) ، والامام عبد الوهاب الشعراني (الطبقات الكبرى) والامام اليافعي (روض الرياحين في حكايات الصالحين) ، والشيخ ابن عطاء الله السكندري (التنوير في اسقاط التدبير) ، وابن القيم الجوزية (الروح) ، والشيخ جمال الدين محمد ابي المواهب (قوانين حكم الاشراق) ، والامام السمرقندي (تنبيه الغافلين) ، والسيوطي (تأييد الحقيقة العلية) ، والامام السراج الطوسي (اللمع) ، وغيرهم من قدامى الشيوخ وكبار الائمة .

وكذلك عرض المؤلف لاراء وشروح الفاظ الصوفية ومعانيها من وجهة نظر كثير من الاساتذة المعاصرين ـ امثال : الدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور محمد علي ابي ريان ، والدكتور عبد الفتاح بركه ، والدكتور مصطفى الشيبي ، والدكتور محمد غلاب ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ، وغيرهم .

ولم يفت المؤلف شرح ما ورد من معان وتعريفات لالفاظ الصوفية ، في المعاجم ودوائر المعارف المختلفة .

ويوضح مؤلفنا ـ الدكتور الشرقاوي ـ قولا للامام الغزالي ، حيث يقول ان للصوفية الفاظهم التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اختصوا بها، ويشرح بعضها . ومنها : السفر والسالك والمسافر ، والحال والمقام ، والرؤيا والالهام ، والمكان والشطح والطوالع والطاعة والاحسان والاخلاص والذهاب والنفس والسر والوصل والفصل والرياضة والمجاهدة ، والتخلي والتحلي والتجلي ، والكرامة والابتلاء ، والعلة والانزعاج ، والمشاهدة والمكاشفة ، والفتوح والبسط والقبض والفناء والبقاء والاصطلام والوجد والوجود والتواجد وغيرها ...

ويروي لنا المؤلف — في هذا الكتاب القيم — أن احد المتكلمين ، قد سأل ابا العباس ابن عطاء : « ما بالكم ايها الصوفية فقد اشتقتم الفاظا اغربتم بها على السامعين ، وخرجتم عن اللسان المعتاد . هل هذا الا طلب للتمويه ، او ستر لعوار المذهب ؟ ، فقال : « ما فعلنا ذلك الا لغيرتنا عليه ، ولعزته علينا » ثم اندفع يقول :

ان اهل العبارة سالونا
اجبناهم باعلام الاشارة
نشير بها فنجعلها غموضا
تقصر عنه ترجمة العبارة
ونشهدها وتشهدنا سرورا
له في كل جارحة اشارة
نرى الاقوال في الاحوال اسرى
كاسر العارفين ذوي الخسارة

ويضرب لنا المؤلف مثلا لبعض الاشارات المتعارف عليها بين اهل الحق ومعناها :

المعنى اللغوي

- الصمت : ترك الكلام بغير ذكر الله
- السهر : عدم النوم
- العزلة : جوع الابرار لكمال السلوك

المعنى الصوفي

- صمت السمير عن جميع التفاصيل
- عدم الغفلة
- جوع المقربين لموارد الانس — فالانس يجعل المريد متغيبا ، فتتوقف ادراكاته الحسية .

ويذكر لنا المؤلف ، ان الفرق بين المعنيين ، فرق بين السلوك والنية . فالسلوك الظاهري للمريد اذا ظهر للعامة حسب مفاهيمهم في الحكومة المدنية انه فعل شاذ يستوجب عقابا او استنكارا او احتقارا ، فربما اختلف الحكم حسب السلوك الباطني ، ذلك ان المريد فعل ما فعل بنية طيبة ، قاصدا وجه الله تعالى ، وان نيته قد انعقدت على السير في طريق الله ، لانه كان في ذكره ماضيا ، يدفعه الحب ويحركه الشوق ويفيض به الوجد ، وفقد ادراكاته الحسية الزائفة ، وانزان شخصيته المصطنع، وعادات مجتمعه وتقاليده الكاذبة، ولم يهتم بآراء وافكار الاخرين . وانما اراد مرضاة ربه عسى ان يظله برحمته ، وان يمن عليه بكرمه ، وان يكتبه مع الذاكرين ...

والحق انه لبون شاسع بين ما يراه اهل الحق وبين ما يراه اهل الظاهر ، فيما يحكم به على الاقوال والافعال . .ولكن ، هل هناك اختلاف بين اهل الباطن واهل الظاهر في احكام الشريعة الاسلامية ؟ ..

هنا يجيبنا المؤلف بالنفي ، قائلا ان الصوفية يرون انه لا حقيقة بلا شريعة . وان الرفاعي كان لا يقبل مريدا في طريقته اذا لم يكن عارفا بعلوم الشريعة ، وان جميع مشايخ الطرق الصوفية يحددون اياما في مجالسهم لعلم الفقه وتدريس العلوم الشرعية .

ويبحث الدكتور حسن الشرقاوي في كتابه الفريد هذا ، عن سبب لهذا التباين في الاحكام ، وفي الراي ، فيقول : « ... ان الفرائض معروفة ، والتكاليف محددة ، والكبائر والصغائر معلومة ، والنواهي والاوامر مقررة ، فمن خالف احكام الشريعة ، فهو منافق او مشرك او زنديق . وعلى ذلك ، فالقصاص واجب على المخالف في الدنيا والآخرة .. »

ويؤكد المؤلف ان لا خلاف بين اهل الحق واهل الظاهر . وان وجد خلاف ، فانما يجيء عن درجة المعرفة .. عن درجات العلم .. كل ميسر لما خلق له .. فعلي عمر علمي وعملي يكون اجتهادي . لذلك تتباين درجات الحكم على الافعال والاعمال ، وتختلف باختلاف الفقهاء والحكماء والفقهاء .

لقد كان المؤلف موفقا كل التوفيق فيما اورده في كتابه من « الفاظ الصوفية ومعانيها » التي تبلغ مائة واربعة وثمانين لفظا ، مشروحة شرحا وافيا مبسطا ، ومن وجهات نظر مختلفة كما ذكرنا آنفا ..

ولقد اضاف المؤلف بكتابه هذا الى مكتبتنا العربية مؤلفا فريدا حقا ، يستفيد منه المتخصصون وجمهور القراء عامة،اذ ان هناك تقصيرا من جانب المتخصصين والباحثين في مجالات التصوف ، عن تعريف القارىء العربي بمفاهيم هذه الالفاظ التي تيسر له فهم وتذوق كتب ائمة الصوفية .

ولا شك ان هذا الكتاب النفيس الذي بذل فيه مؤلفه هذا الجهد الكبير ، والذي لم يوضع له مثيل بالعربية منذ قرون عديدة ، قمين بان نعتز به ونقدره حق قدره ، ونهنيء مؤلفه على ما انجز من عمل جليل، ونرجو له المزيد من التوفيق في دراساته وابحاثه ليتحفنا بالمزيد مما يغذي الالباب ويصقل النفوس .

— الاسكندرية —

عبد العزيز جادو



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لن تسقط قنبلة ثالثة



حسن فتح الباب

احتفل العالم الغربي في اواخر شهر يوليو ١٩٧٥ بالذكرى الثلاثين لانتهاء الحرب العالمية الثانية ، تلك المأساة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية والتي فاقت في بشاعتها ما خلفته الحرب الاولى من اهوال . فقد بلغ مجموع ضحايا الدول التي تحاربت في اوروبا اربعة عشر مليونا من القتلى والجرحى وخمسة واربعين مليونا من الجرحي والاسرى اما المدنيون من الرجال والنساء والاطفال الذين قتلوا او جرحوا او شوهوا او فقدوا خلال هذه الحرب فلا يمكن احصاؤهم احصاء دقيقا ، واما التخريب الذي شمل المباني والاراضي والمدارس والمعابد وآثار الماضي الفنية والتاريخية والمدن والموانيء ووسائل المواصلات ووسائل الانتاج فليس من سبيل الى تحديده وتقدير

الخسائر المادية التي سببها .. واما الاثار العميقة التي احدثتها الحرب في نفوس البشر وفي ارواحهم واخلاقهم وصحتهم ، والاثار التي ترتبت من جراء انقطاع الناس عن العمل المنتج وانصرافهم الى انتاج آلات القتل والتدمير فلا يمكن تقديرها بمال .

وعلى الرغم من انقضاء ثلاثين عاما منذ وضعت الحرب المشؤومة اوزارها فان آثارها لم تنته كما يدل على ذلك تمزق اكثر من شعب الى دولتين . ولا يزال الصراع الدموي بين قوى الشر وقوى الخير قدر سكان هذا الكوكب الذي كتب عليه ان يكون عماره وخرابه بأيدي ابنائه انفسهم ، هذا الصراع الذي يؤدي الى القلق والفاقة والتخلف والقهر كلما نشبت الحرب ، ويؤدي الى ازدهار آمال الانسانية في الامن والعدل والحرية والتقدم والرفاهية كلما تنفس فجر الحرية والسلام المنتصر . بيد ان الرياح تأتي غالبا بما لاتشتهي السفن فانفعالا الخوف والغضب يكادان ان يستنفدا كل تقدم بشري ويستهلكاه الى آخر رمق حيوي فيه . وشهوة السيطرة التي تهوى القوة والاستعلاء واستغلال الانسان للانسان قد بلغا الحد الذي جعل نسبة سني الحرب في تاريخنا البشري الى سني السلام ١٤ : ١ ، وذلك بالحقبة التي نعيش فيها ، وهي فترة تبدا قبل الميلاد بخمسة عشر قرنا ، وتنتهي بالحقبة التي نعيش فيها ، وهي فترة تقدر بثلاثة الاف واربعمائة عام تقريبا .

واذا كان السلام مطلبا اساسيا للبشرية منذ نشأتها الاولى بوصفه الطريق الحتمي للتعاون ومن ثم للتطور والازدهار ، فلقد غدا في هذا العصر النووي ضرورة حياة ومصير ، بمعنى انه بغير السلام يصبح الوجود الانساني ذاته مقضيا عليه لا محالة اذا نشبت حرب ذرية . واذا كان من الحقائق الموضوعية المجردة ان الحرب العالمية الثانية قد صارت بالقياس الى الحرب الذرية حربا تنتمي الى حضارة ما قبل التاريخ ، فان تزايد الحاجة الى السلام يغدو في مثل قوة الحياة نفسها وغريزة الدفاع عنها فلقد اصبح حق الجنس البشري محقا تاما ، بل واستئصال كل كائن حي على ظهر الارض فيما هو اقرب من لمح البصر ، وهنا بمشيئة الانسان بعد ان وكل اليه العلم في محاولة اجتلاء المجهول قوة لاتعادلها قوة . ومن ثم اصبح لا خيار له بين الحرب والسلام ، بما يحمل ذلك من نبذ لكل دوافع الحرب واجتثاث لاسبابها ومن عمل دائب لتعزيز وسائل السلم .

واذا كان الرسل والانبياء والمصلحون والحكماء يدعون الى نبذ الحرب التي تقوم على التعصب والاستغلال عن طريق الكتب السماوية والوصايا والموعظة الحسنة ، فان الفنانين يدعون الى اقلاع عوامل الشر ويسعون الى السلام عن طريق الفن واساليبه ، ولذلك لا تنبع قيمة الفنان من المستوى الفني لاعماله فحسب وانما المضمون الذي يعبر عنه ويريد ان يؤكده في نفس المتلقي . فالمهمة الاساسية للفنان الحق ان يقاوم الشر والقبح في العالم ، وان يدرك انه جاء لتحقيق هذه الرسالة والشعر الاصيل هو الذي يزيد الانسان عراقة في نوازعه الخيرة . ومثل الشعر في ذلك مثل سائر الاداب والفنون .

ومن ثم يستطيع الفن الانساني الذي تتوافر فيه عناصر الاكتمال شكلا وموضوعا ان يغير النفس وان يغير المجتمع ، فيضيء بذلك الجوانب المعتمة في الحياة ، ويدفع مسار التاريخ الانساني الى غايته المثلى . ولما كان التقدم غاية البشرية وكان السلام هو الوسيلة الوحيدة لهذه الغاية فان رواد الآداب والفنون الذين وضعوا نصب اعينهم هذا الهدف واتيحت لهم المقدرة والقوة على تحقيقه يعدون في طليعة رواد الانسانية قاطبة ولهذا خلد التاريخ شعراء الملاحم وغيرهم من الفنانين الذين قاوموا بفنهم حروب البربرية والطغيان والاستعمار والامبريالية ، ومجدوا بطولات الشعوب وحاربوا تحت صفوفها حتى النصر او الاستشهاد .

ولما كانت القنبلتان الذريتان اللتان القيتا على مدينتي هيروشيما وناغازاكي في اليابان سنة ١٩٤٥ لاكراهها على التسليم وصمتي عار في جبين صانعي هذا السلاح الامريكي الجهنمي ومستعمليه بل وفي جبين الجنس البشري كله ، فقد فجر حدث تفجيرها والآثار الوخيمة التي ترتبت عليه اعمق الاحاسيس في قلوب الشعراء والكتاب واهل الفن ذوي النزعات الانسانية بصفة عامة ، فتركوا لنا آيات من الابداع تعد من امضى الاسلحة المعنوية في الدفاع عن السلام والتمكين له في النفوس . وشحنها بالكراهية ضد دعاة الحرب العدوانية وتجار الموت من اعداء الحضارة والتقدم .

وليس من المستغرب — وقد كان اهل قريتين يابانيتين آمنتين هم الذين اصطلوا بسعير هاتين الآلتين الفتاكتين وعانوا اهوالهما اذ مزقت كثرتهم في غضون دقائق دون سابق انذار — اقول ليس من المستغرب ان نصدر عن احد شعراء اليابان وهو « ايشيجي اسادا » قصيدة « لن تسقط قنبلة ثالثة » التي تعد بحق نموذجا شعريا رائعا للمعاني التي اشرنا اليها فيما قدمنا من حديث عن الحرب والسلام من هموم الانسانية واشواقها ، وآية ذلك انها تتخطى باصالتها وعالميتها عوامل اللغة لتنفذ في كل حين الى كل قلب على اية ارض :

مدينتي كانت هنا وكان اخوتي واليوم يغزو العشب والاشواك جنتي على حطام تربها الجديب على ضحايا موطني الحبيب القت به قنابل الدمار في الحصاد يايها الرفاق يا احبة الحياة لتتحد صفوفكم في موكب الاصرار لا موت بعد اليوم لا دمار

اي استهلال ماساوي تمثله الابيات الاربعة الاولى من هذا المقطع ؟ اي نبع عميق الاغوار يصدر عنه هذا الشجن المرير ؟؟ بل انه نبع لاقرار له لان الكارثة لا حدود لهولها فالشاعر يمزق لحنا فاجعا رهيب الايقاع مشدودا على قلب منزوف الاوتار وهو يتراءى في مخيلة القاريء مطرق الراس ذاهلا متعثر الخطو في غابة موحشة كئيبة كأنه شبح قادم من عالم بعيد يبحث عن حبيب اختطفه من بين ذراعيه شيطان رجيم ثم هوى به الى فراغ مدقع مجهول .

بل انه يبحث عن مدينة .. ليست اية مدينة .. انها مدينته هو .. مدينة اخوته .. لقد كانت هنا بالامس يأتيها رزقها رغدا من كل مكان .. تضطخب بالحركة وتهدر فيها شلالات البهجة وتصدح اغنيات المحبين والعازفين .. اما اليوم فليس ثمة غير اشباح الفناء واشواك القفار وحطام الذكريات .. يا ويلي ، لقد غدت مدينتي في غمضة عين مدينة الموتى .. موتى بلا قبور ولا ترانيم ولا زهور .

ولا يلبث الشاعر ان يستنقذ نفسه من براثن الحزن قبل ان يتردى في غيابة اليأس فيتحول نغمه الشاجي الى « شعر جماهيري يبث الامل والثقة في الغد » كما يقول الكاتب الشهيد غسان كنفاني في تحليل شعر المقاومة الفلسطينية .. وهكذا يتعاقب في مقطع واحد لونان متناقضان كما يتعاقب الموت والحياة ، ويتعاقب الليل والنهار ولكن صيحة الحب والحياة اقوى من سكون الفناء ، والخير قادر على ان يهزم عنصر الشر الكامن في الوجود اذا انتصرنا له ، فلنتحد ايها الرفاق يا احبة الحياة ، ولنضرب على ايدي القتلة حتى لا تسقط قنبلة ذرية ثالثة ، ولكي لا تكون هناك بعد اليوم هيروشيما ثانية ،و ناغازاكي اخرى .

السحب تمطر السموم في الفضاء والصيد في البحار يحمل الفناء فقارب محطم مجهول وصائد مشوه ضرير القت به قنابل الدمار في الحصاد يايها الرفاق فوق الارض والبحار لتتحد صفوفكم في موكب الاصرار لا موت بعد اليوم لا دمار

يعود الشاعر في هذا المقطع الى ما بدأ معمقا الاحساس بالكارثة التي حاقت بأحبائه عن طريق التركيز على بعض صور جزئية على غلاف في ذلك مع المقطع الاول الذي صور فيه المشهد العام للخراب الذي حل بالمدينة فجعلها كأن لم تكن بالامس ولم يعمر بها ساكن ، وهذه الصور التفصيلية قوة الايحاء وهي تسهم فضلا عن ذلك في تنمية البناء الدرامي للقصيدة .

والذي يسترعي النظر باديء ذي بدء ان الشاعر في البيتين الاول والثاني يصور الابعاد غير المحدودة للدمار الذي خلفته القنبلتان الامريكيتان الذريتان . فهذا الدمار غير مقصور على سطح الارض بل انه يمتد ليشمل الفضاء والبحر جميعا ، فلا ينجو منه كائن حي يدب فوق الثرى او يحلق في الجو او يسبح في اعماق الماء . انه لشر ساحق ماحق كأنه اخطبوط ذو مليون ذراع . وتبدو مأساة الانسان الضحية في الحي الباقي اكثر مما تبدو فيمن لقي حتفه حرقا ، اذ يتحول الاول الى مسخ بشري يتنفس فلا هو يحي ولا هو يميت ، فهذا الرجل قد فقد الابصار باللهب الذري ، وتلك امراة مقطوعة الذراع والقدم ، وهنا كومة من عظام كانها بقايا سمكة كانت يوما طفلا ناضرا متدفقا بالحياة والمرح وما تزال السحب مشحونة بالغبار الذري القاتل ، والسمك الذي يصطاده الرجال مسمم بذلك الغبار فانك بمن يتناوله .

فما الذي جناه هؤلاء البشر التعساء حتى يلقوا هذا المصير المفزع في الارض والبحر والسماء ؟ انها لابشع جريمة ارتكبتها أيد بيضاء في ثياب حضرية ولكنها اشد وحشية من تلك التي عرفتها عصور الجاهلية الاولى .. ارتكبتها في هدوء لا يعرف وخز الضمير ثم مضت تتطيب بالعطور.ان الشاعر لا يصور هذه الايدي الملطخة بدماء الابرياء ، ولكنه يبلغ غرضه وهو شحن القاريء بالنقمة عليها من خلال الصور الصغيرة المتلاحقة التي تشكل لوحة متكاملة ' صورة القارب المحطم المهجور على الشاطيء ، وصورة صاحبه الصياد وقد اصبح مشوها ضريرا .

ومن ذلك يبدو ان منهج بناء القصيدة يقوم على رسم لوحة تعبر عن الضحية والايحاء للقاريء بلوحة اخرى تعبر عن المجرم ، وهكذا يحدث التصادم او التناقض بين اللوحتين اثره العميق في النفس ، ويمهد دراميا لصرخة الشاعر والقاريء معا : تبت ايدي السفاح الهمجي ، ولتتحد صفوفكم يايها الرفاق كي تمنعوا اعداء الانسان من ان يجتثوا الحياة من جذورها مرة اخرى . لتتحدوا حتى لا تسقط قنبلة ثالثة .

يا للسماء في ثياب الموت فوقنا وغيمة تحيط بالسواد شمسنا لا طير — والسماء كالرصاص — ملحق في نشوة الخلاص القت به قنابل الدمار في الحصاد يايها الرفاق يا طلائع النهار لتتحد صفوفكم في موكب الاصرار لا موت بعد اليوم لا دماء

يركز الشاعر هنا رؤيته على بؤرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجريمة من خلال ابراز الظاهرة غير المسبوقة في تاريخ المخترعات الحربية المدمرة ، وهي السحابة السوداء الهائلة التي جللت الفضاء بعد اطلاق القنبلة الذرية واحالت السماء والارض جحيما يلتف الحرث والنسل ولا يبقى اثرا للحياة فيها ، فالسماء والارض التي كانت تبدو في صفائها ورقتها وانسيابها عروسا عذراء مجلوة في تلك البقعة من بلاد الشمس المشرقة قد اصبحت مقبرة كبيرة معلقة فوق رؤوس البشر العتاة وشمس الامس الساطعة قد انشحت بالسواد وهي في قبضة السحابة التي احالت النهار ليلا طويلا لا يرجى له فجر . وقد اصبح الفضاء مثل البحر بلا حياة ولا احياء ، فلا جناح يرف بعد ان اضطرمت الاجواء باللهب والحمم ، واضحى مسبح الطير كالرماس المستعر وادت السحابة الذرية البراءة والجمال والحب واغتالت البهجة والحرية .

فماذا تنتظرون ايها الرفاق الذين كانوا في مكان آخر حينما قتل احباؤكم غيلة ؟ لسوف يصيبكم الدور اذا اخلدتم الى الصمت وخضعتم للارهاب. فاجمعوا صفوفكم وكونوا بنيانا مرصوصا يشد بعضه بعضا .. واحزموا امركم فاما ان تكونوا او لا تكونوا حتى لا تسقط قنبلة ثالثة بعد اليوم .

ما اروع الانسان صانع الحياه
تعهدت حضارة الدنيا بداه
يا ويله ان لم يذد عما بناه
القت به قنابل الدمار في الحصاد
يا ايها الشعوب يا طلائع الاحرار
لتتحد صفوفكم في موكب الاصرار
لا موت بعد اليوم لا دمار

وهكذا يأتي المقطع الاخير للقصيدة تقريرا عقلانيا بعد ان اثار الشاعر في ثنايا المقاطع السابقة — بالصور الكلية والجزئية والتسلسل الدرامي والمنهج الفكري والفني — اعمق مشاعرنا ، فلم يبق الا تكرار القرار



الذي يتردد في القصيدة فيذكرنا بالكورس في الملاحم والمسرحيات القديمة ، ولكن الشاعر لا يكتفي بمضمون القرار وانما يضيف اليه فكرة انسانية تثري مضمونه وتعمقه.

وفي رأيي ان هذه القصيدة تمثل للشعر الانساني الحق لاكتمال مقوماتها من حيث الشكل والمضمون — على الرغم مما افتقدته من سحر لغتها وموسيقاها بعد نقلها الى الانجليزية ثم الى العربية — وآية ذلك مما تمتاز به من وهج وتدفق ينبئان عن بساطة واصالة ، فلا غموض ولا تعقيد للصور او اعتساف في استخدام الادوات الفنية، ولا تعقيد في الفكر او اثارة لضجة مفتعلة . فهي قصيدة كتبت نفسها بنفسها كما يقول النقاد الانجليز ،ومن ثم كتب لها البقاء .

ولقد تركت هذه القصيدة صداها في نفسي ، ولاني احببتها فقد صغتها شعرا . بل لقد ضمنت البيت الذي يتردد في قرارها قصيدتي الملحمية الطويلة (الصياد الياباني) وهي قصة صياد ياباني من ميناء « يازو » سقط ضحية التجربة الذرية الامريكية في جزر بكيني بالمحيط الهادي عام ١٩٥٧ اذ كان العالم كله وما زال يردد الشعار الذي تضمنه القرار. ولعل نشر الجزء الثاني من تلك الملحمة ، في ختام هذا المقال ، ان يفيد في اضفاء مزيد من الاضواء على الافكار والصور التي قدمها لنا الشاعر الياباني وقدمناه بها ، ومن ثم يزيد ايماننا بالقضية الاولى للانسان في هذا العصر ودفاعه عنها :

يا وليتا لصائد يجالد الرياح
يمضي على وجه العباب عانى الجراح
وصاحباه يضربان في مجاهل الخضم
والموج عارم اثم
تذرو عليه السحب جاحم الحمم
وزوجه هناك ترقب الغروب
ويرمق الصغار بالحنان لحظها الكئيب
الليل خيمت ظلاله ولم يعد
وعاد كل غائب لداره ولم يعد
وغلق الجيران دارهم ولم يعد
اطفاله اغفوا على انتظار
ولم يحن مآبه للدار

وكان لا يطيـــــل غيبتـــه
ولا يضـــل في الظـــلام رحلتـــه
كم عاصـــف اذل كاهل الرجـــال
وما هـــوى شراعـــه ولم تهـــن
شباكـــه .. وعاد يحمـــل السلال
عينـــاه توقـــدان عتمة الظـــلال
وتسكبـــان في دمـــى الحنين والسلام
وساعـــداه يحمـــلان طيب الطعـــام
والعطـــر والشعـــاع والصفـــاء
علـــى مشـــارف المســـاء
ترف من جـــدار عشنـــا الصغـــير
وكان دافق الـــوداد ساعة اللقـــاء
لكنهما لقيـــاه هذا الليل لم تحـــن
يارفقتـــي ولـــم يحـــن عود الحبيب
اســـرت بـــه الـــرياح للمغيـــب
لم يحتضن بناته الثلاث منذ ذلك الصباح
لم يشجنا هتافه الطروب في الغروب
وخلـــف العـــذاب والدمـــوع
وجمـــرة الاوجـــاع في الضلـــوع
ثيابـــه علـــى الصـــوان ما تـــزال
شباكـــه على الجـــدار مـــا تزال
وهمـــــس خطـــوتـــه
في ردهـــة الكـــوخ الوديع وقعهـــا
وخفقـــة اليديـــن في يـــدي رجعهـــا
وطيـــــب نظـــــرته
في اعـــين الصغـــار مـــا تـــزال
وكان حينمـــا هـــوى يحـــن للبقـــاء
يجالـــد الجـــراح يغلـــب الفنـــاء
كانمـــا تشوقـــه الريـــاح والانواء
والعـــرد بالصيد الوفير في المســـاء
كانمـــا يستـــاف نفحـــة البحـــار
وينشـــر الشراع فوق قمة التيـــار
واودعـــوه بين صحبه العناة في المدينة
والموت ظله الكئيب رابض على السكينة
ومـــا خبـــت انفاســـه الحـــرار
ومـــا انتهـــى عذابـــه بالنـــار
ويـــلاه .. ذاب شعـــره ولـــم يمت
واطفئـــت عيونـــه ولـــم يمـــت
وحين مـــات لـــم يكـــن بـــه رمـــق
يصـــد عنـــه غائـــل الحريـــق
واسّاقطـــت قبل الوداع عنه كلمتان :
« لا مـــوت بعد اليـــوم بالغبـــار »

حسن فتح الباب

الجسر

قصة بقلم : احمد عودة

قيل لنا : اذهبوا ، فالجسر قد انهار .

هذه هي النتيجة التي وصلت الى آذاننا مجردة ، واستقرت في الافئدة منا . وكان علينا ان نفهم كل شيء ترتب على انهدام الجسر . الشرح في هذه المسائل تافه فاقد المعنى كالوزن في الطبقات العليا من الجو .

خرجنا نحن الاربعة — كانوا ثلاثة وانا رابعهم — فاستقبلنا وجه السماء عابسا ينذر بفيضان جديد يسخر من عزمنا على بناء جسر قوي مكان الذي جرفه الفيضان المنصرم .

— اقيموا جسرا من حديد .

هكذا قيل لنا — وشرح الاسباب تافه ايضا فاقد المعنى — فالحجارة الضخمة التي حددنا بها مجرى الماء من قبل تفسخت وتدحرجت مع التيار الجارف ، فبات الانتقال الى الجانب الاخر امرا مستحيلا ما لم يبن الجسر .

نظراتنا ترسلها ثماني عيون تتشابك طارقة آلاف المسائل الناجمة عن انهيار الجسر ، والانا اخرى تترتب على بنائه من جديد .

الرياح التي بدات تكتس الفضاء انحدرت بالغبار الناشيء الى قلوبنا المرهفة فبدات تنطق بصمت .

— هذه مهمة صعبة في هذا الجو اللعين .

— موتنا اكثر احتمالا من بقائنا احياء .

صوتي امل ينازع الخوف من التقدم .

— ان حدث موتنا ففيه للاخرين حياة .

اصواتهم تنفجر من صدور مضغوطة .

— الفيضان المنصرم جرف حجارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجسر الضخمة . والفيضان الاتي سيكون اهون عليه جرف اجساد اربعة ضعيفة .

ـ ان السماء المحملة بمثل هذه الغيوم ستلد فيضانا فظيعا .

ضحكة استخفاف تقياها قلبي ببسمتها في وجه الخوف الزاحف بغزارة . وصوتي يخرج اقوى مما كنت اظن .

ـ بناء الجسر لم يستغرق وقتا طويلا ان نحن تسلحنا بالاخلاص والسرعة خير ضامن للسلامة .

انصبت نظراتهم علي في غيظ ترجمته السنتهم .

ـ النهر بعيد ... وسنعلن في الوقت المناسب استحالة البناء .

الرفض نطقت به اعضائي كلها « السهول في الجانب الاخر ستموت تحت اقدام الفيضان . ولن تجد الحقول الممرعة غاسا واحدة تحرثها . سيعمها الخراب والجوع سيفتح فاه يلقف الجميع هنا لا بد من بناء جسر طويل قوي » تفشى اليأس على وجوههم ، وبصقت نظراتهم الي اشمئزازا ونفورا ، ثم ساروا ببطء . فتبعتهم وقد دخل الى نفسي الخوف من ان الشاهد الوحيد على جريمة ترتكب قد يقتل في اية لحظة ، فيموت معه البرهان وتبقى الجريمة غامضة . وتلفتهم الى الوراء بين الحين والاخر يؤكد في نفسي دواعي الخوف . اضطربت خطاى وبدات يداي ترتعشان فاسلمتهما جيبي .

اجبرت على الصمت حين قال احدهم بلسان الاخرين :

ـ هذا مرقص تشع انوار منه دائمة فلنأخذ قسطا من الراحة كزاد لمشوارنا الطويل .

والقوا علي نظرة تطلب الموافقة ... ولما طال صمتي صاحوا بعنف :

ـ انك ترتجف بشدة . فأنت احوجنا للراحة والدفء .

لم ينتظروا موافقة مني ... بل ساروا باتجاه المرقص فتبعتهم فاقدا الارادة . جلسوا الى طاولة مستديرة ، انتحيت جانبا منها . انتبت على نفسي ، هم مشدودو النظرات الى راقصة تتلوى بجسدها العاري . وانا مشدود النظر الى وجوههم تتراقص عليها انفعالات جمة تنقض على روحي بايقاع عنيف كعنف الموسيقى الصادحة في المكان .

ـ الخمر تكمل دائرة السرور .

نظراتهم لا تسألني هذه المرة ، بل تحذرني من الرفض ، قلبت يدي حيرة وعجزا . صفقوا بايديهم ... فانتصب الزجاجات على الطاولة .. افرغوا جوفها في الكؤوس . قرعوها بكاس امامي . تأمرني نظراتهم بالشرب ، يمور في صدري غيظ فظيع . صحت :

ـ لن اشرب . ولن تجبروني على الشرب .

ذابت ضحكاتهم على جسد الراقصة المتلوي ، فغبطت لهذا الجسد المتلاعب باعصابهم على مشارفتي اياهم الشرب .

كل الحقائق تغمرها الخمر في الكؤوس ، يتلقى شراجيعها تسيل متصل ، وجسد الراقصة يمسك بلسان المنطق فيخرسه فتنطلق الرغبات جامحة على السنتهم واصابعهم تطوف المكان كله ثم تستقر علي .

ـ اليس هنا اكثر متعة من ضفاف النهر ؟

ـ لا بد ان السماء الان تمطر .

ـ ولكننا هنا في مأمن من المطر .

ضحكاتهم تخلع قلبي واصابعهم تشير الي بالاتهام .

ـ سهومك يدل على انك اكثرت من الشرب .

ـ آه .. لقد شرب حتى طفح .

« قلبهم الحقائق يفقدني صوابي » .

ـ لا بد ان يتم بناء الجسر هذه الليلة والا فسيغرقنا الفيضان وستموت الخضرة في الحقول .

وسيقفر الجوع فاه .

يصفقون وارجلهم في الهواء .

ـ بدا يهذي . علامات السكر تظهر عليه بوضوح .

ـ لا بد انه يرى بعيني سكره الراقصة غير عارية .

ـ ما رأيكم ان نحذو حذوه فنسكر نحن ايضا ؟

« الخمر تجرف من رؤوسهم كل منطق ، والراقصة تسلل من عيونهم النظر ، وليس هنا غيري بكامل وعيه ينشب الواقع في اظفاره ، لا بد من بناء الجسر وان تحتم علي ان اذهب وحدي » .

نهضت من مكاني سريعا ، تطاردني ضحكاتهم ، فنحرتها بالعزم على ان احقق وحدي بناء الجسر هذه الليلة . فتحت الباب بعنف يساوي هذا العزم . فصفعت وجهي على الفور ريح مشبعة ببخار الماء اجبرتني على التراجع ، تلفت حولي لارى عجزي مرسوما على وجوه رفاقي وعلى اقدامهم المرفوعة الى اعلى في سرور شامت ، اعدت الكرة من جديد ، فعادت الريح الى صفع وجهي برذاذ ساحق . اختلست الى السماء نظرة عاتبة فهالني عبوس قمطرير يمزق سطحها بعصبية وتوفز وصفير الريح اللغة التي خاطبت بها السماء اعصابي فرايت عن بعد جثة طافية على الماء والجسر منهدم . زفرت بياس ، ولويت عنقي اليهم فكانوا يتطلعون الي بشماتة .

وانزلقت نظراتي الى الراقصة ، فكانت لا تزال تتلوى بجسدها العاري تخطف به الابصار ، فانثنيت الى الطاولة المستديرة .. تناولت كأسي المترعة ودلقتها في جوفي . اعصابي المتوترة يطمسها الخدر . لساني ينطلق بهذيان متصل . اصابعي تجذب شعري . رفاقي يلفهم صمت ووجوم . يهمسون وهم يسترقون الى النظرات :

ـ ها هو يصحو من سكره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





"الشهادة الناقصة في رواية الكرنك"

نقد وتحليل الكرنك - نجيب محفوظ

بقلم : شمس الدين موسى

الكرنك هو العمل الروائي الاخير لنجيب محفوظ ، وان كان من الصعب أن نطلق على ذلك العمل الادبي الذي يتخذ شكلا صحفيا كلمة رواية ،نظرا لافتقاده للكثير من العناصر الاساسية المميزة للرواية. فالكاتب أمام متطلبات ملحة تنبع من التزامه ، جعلته يتخذ من مقهى الكرنك أو رواية الكرنك حيلة فنية كي يوصل من خلالها كلمته ويدلي بشهادته على فترة من أهم فترات حياتنا ، زاخرة بالاحداث والمتناقضات التي وقفنا امامها جميعا مع رواد الكرنك مشدوهين حائرين ، ما بين شامت أو مرتعد وخائف ، وما بين متالم او متامل ، كل هؤلاء في جانب ، أما الذين فهموا سر اللعبة من امثال حلمي حمادة الذي لم يمهله الغدر كي يقول كلمته ، فقد كانوا يقفون رغم قلتهم على الجانب الاخر.

وفي الحقيقة ان قراءة الكرنك تضعنا امام سؤال يعتبر شديد الاهمية :

— الى اي مدى يحق للكاتب الكبير ان يدلي بكلمته التي تعتبر شهادة على واقع مرفوض ؟ — وهل يدلي بها ابان حدوث الحدث الذي يرفضه؟ — ام يدلي بها بعدما تزول اثاره

وتتغير الاوضاع فتنتفي عن كلمته صفة الشهادة متحولة الى نوع من الاعتراف ــ اعتراف بالذنب لسكوته وصمته القديم !

في الواقع ان نجيب محفوظ ،ليس من الكتاب الذين يصمتون ، فهو في ظل جميع الظروف كان يقول كلمته متخذا الرمز احيانا ، والايحاء احيانا اخرى ، واعماله القصيرة والطويلة تزخر بتلك الرموز والايحاءات والايماءات ، لكنه لاول مرة يلقي بشهادته كاملة وصريحة دون استخدام الادوات الفنية التي تختفي وراءها الحقيقة ، مما يجعلها تحتاج من القارىء ، قدرا من الذكاء فوق المستوى العام للذكاء حتى يستطيع المتناول ان يفهم ما يريد الكاتب توصيله .

ونجيب محفوظ لم يقل كلمته متاخرا كما يظن البعض ، فالظروف لم تتغير تغيرا جذريا بتحولات كاملة ، وان توارى كثير من الاساليب التي سقطت تاريخيا ، ومما يدل على ذلك انه لم تستقر حتى الان الاسس والمعايير التي يمكن ان تنمو وتتفتح في ظلها كل الزهور ــ حتى لا تتكرر ماساة حلمي حمادة الذي لم تمهله قوى الظلام كي يدلي بالشهادة الناقصة . فجميع الاطراف ادلوا باقوالهم الا هو ــ وظلت شهادته التي لم يسمعها احد دليل ادانة كامل لم تستطع زينب دياب ــ اثناء ضياعها واحتقارها لذاتها ــ ان تهرب منها ، كما لم يستطع اسماعيل في تمزقه وانحداره ايضا ان يهرب منها . وبذلك لا يمكننا التشكيك في كلمة نجيب محفوظ ولا في توقيتها ، وان كان يجتاحنا شوق عارم لترسيخ القيمة الفنية للكلمة التي طالما انتهكت وابتذلت ، فنحن في حاجة الى ان يخرج كتابنا من صفوف الشهود على العصر . نحن في حاجة حقيقية الى الكاتب الفدائي والمفكر الجسور .

والعمل في جملته يمثل في بعض جوانبه شيئا ما من الاعتراف والتطهر والنقد الذاتي . فالكاتب ومن خلال سطور عمله يراجع نفسه في اكثر من مكان مسجلا تفسيراته للاشياء الغامضة التي واجهت كل من يحملون هموم عصرهم « حاضرهم ، ومستقبلهم » ، وكان ضحيتها طليعة جيل او جيلين ممن تفتح وعيهم الفكري في منتصف الخمسينات واوائل الستينات ، فلم تكن تكفي امام بشاعة ما يحدث في الظلام تلك التبريرات السريعة التي تلمس السطح دون ان تخدشه ، والكاتب في العمل يقدم تفسيره القديم برغم ادراكه انه لا يرضي احدا ، لكنه يقرره مسجلا نوعا من الحيرة كان ينتاب العديد من المثقفين في اواسط الستينات ممن يحملون الافكار الوسطية ، ومن الذين يحملون الام وطنيتهم المفرطة المثالية في واقع غني بالصراعات والتناقضات يحسب بربياح الهزيمة القادمة من الخارج يقول على لسان الرواية ــ الا يستحق ابناء دولتنا العلمية الاشتراكية الحضارية والتي ملكت اكبر قوة في الشرق الاوسط ان نعمل على سبيلها تلك الآلام ، وكنت اشعر طيلة الوقت بانه يمكن ان اقنع نفسي بضرورة الموت وفائدته بمثل هذا المنطق » .

ومثل تلك العبارة بين سطور الرواية ، تمثل في النهاية نوعا من النقد الذاتي والاعتراف بقصور الرؤية الذي كان ينتاب الكثيرين .

ومقهى الكرنك هو المكان المختار الذي اتخذه المؤلف مسرحا للاحداث التي يسردها ، فهو مكان تتجمع فيه مختلف شخصياته ــ تملكه « قرنفلة » راقصة الاربعينات الشهيرة والتي ارتفع بها المؤلف عاليا متخذا منها رمزا للحب الذي يدور حوله الجميع ــ فلا يظهر عليه اثر السن ، ولا تعشق غير الشباب الذين تجد بينهم روحها شابة متوثبة ، فهي الزهرة التي يستنشقون اريجها الحلو . والكرنك تحوي فيما تحوي مجموعة من الشيوخ « محمد بهجت ، ورشاد مجدي ، وطه الغريب، وزين العابدين عبدالله مدير العلاقات العامة والمستفيد الاول من النظام والذي يعشق قرنفلة » الى جانب مجموعة الشباب « زينب دياب ، واسماعيل الشيخ ، وحلمي حمادة » ، ثمة علاقة صداقة تضم الشبان الثلاثة ، وان كان لها بين زينب واسماعيل بعد آخر يتصل بالعواطف . والجميع يرتعون في ظل الكرنك واريج قرنفلة بخفتها وحيويتها وتجربتها . وسرعان ما تنشأ بين حلمي حمادة وقرنفلة علاقة حب يحس بها الجميع ، ولا يقف امام تلك العلاقة الا زين العابدين الذي يطارد قرنفلة ، فهو يريدها لكنها تنفر منه ، ويعرض عليها كثيرا من المشروعات ، لكنها تعرف الغرض من تلك العروض فتصده قانعة بحب حلمي حمادة لها ، فهو يقترح عليها تحويل المقهى الصغير الى مطعم كبير ومشاركتها فيه ، لكنه يطمع في فراشها اولا، ولا يتضح عمق عواطف قرنفلة نحو حلمي الا عندما يعتقل الشبان الثلاثة ويغيبون عن المقهى ، ويدور الحوار التالي :

ــ الاعتقال فعل مخيف .

ــ وما يقال عما يقع للمعتقلين انفلع .

ــ لا تحقيق ولا دفاع .

ــ لا يوجد قانون اصلا!.

ــ يقولون اننا نعيش ثورة يستوجب مسارها تلك الاستثناءات.

ــ ولكن مضى على الثورة ثلاثة عشر عاما او يزيد فآن لها ان تستقر.

وعندما يعود الغائبون في المرة الاولى يكونون اكثر ذبولا بعد افتقادهم لجزء من طبيعتهم الحية ، ويرفضون ان يحكوا عن تجربتهم . وفي المرة الثانية يتحول اسماعيل الشيخ الى رجل مباحث على اصدقائه بعدما قذف في اعماق الظلام مدة لا يعرف قدرها،

وهو الذي يعتبر نفسه من جيل الثورة المدافع عنها والذي يعتنق مبادئها ، فأخوه عامل في مطعم ، وامه بياعة ، وشقيقاه صبي جزار واسكافي ، مسكن اسرته مكون من من حجرة واحدة في فناء ربع . واسماعيل الوحيد الذي يواصل نجاحه في ذلك الجو الذي لم يتغير به شيء جوهري حتى يصل الى الجامعة في ظل اصرار امه على مواصلته لطريقه، ويحب زينب ابنة الحارة ويزداد ارتباطهما في طريق التعليم معا .

يفقد اسماعيل وعيه مع فقده لموقفه من الزمن بداخل الجب المظلم الذي يقذفون له بداخله قطعة الجبن والخبز ، فيترك في الظلام على الاسفلت مدة ليست قصيرة حتى يستدعى امام خالد صفوان الذي يعرفه منذ اعتقاله الاول عندما حقق معه ، واتهمه بانه من الاخوان المسلمين . وفي المرة الثانية يتهمه خالد صفوان بأنه شيوعي وهو ابن الثورة المؤمن بمبادئها ، ويحضرون زينب امامه ويمارسون نوعا من الابتزاز عليه ابان ساعات تهدم روحه ونفسه حتى يكسبوه في النهاية عميلا لهم . ويزداد اسماعيل اغترابا بداخل ذاته عندما يفرج عنه ويفقد حبه طعمه الحقيقي ويتحول الى نوع من الاعتياد ؛ بينما هو يحس في نفسه امتعاضا راسخا نحو ايمانها الثوري ، فقد نجحت قوى الظلام ان تطفيء الحماسة التي كانت تشب في نفوسهم، وهو الذي يحس بأنه مطالب ان يقدم تقارير عن اصدقائه . وفي الاعتقال الثاني ايضا توجه لزينب نفس التهمة « الشيوعية » ، وتترك بأمر خالد صفوان في زنزانة قذرة يطلبها ان تنام وتحيا وتأكل وتقضي حاجتها فيها ، بينما هي عرضة في اي لحظة لان ينظر الحارس اليها من خلال ثقب في الباب ويتفرج ساخرا . وتظل هكذا ايضا مدة ليست قصيرة الى أن تستدعى امام خالد صفوان ، وهناك يواجهها بان اسماعيل قد اعترف بأنهم شيوعيون ، لكنها ترفض ذلك وتقول ان اعترافه تم تحت التهديد والتعذيب. وتحدث ابشع جريمة لا يمكن أن تتم الا في القرون الوسطى ، فلا تترك زينب الا بعد ان تنتهك آدميتها وتغتصب أمام عيني صفوان وبأمره . وتسقط زينب تحت تهديداتهم بأنهم يعرفون كل شيء وتقبل ان تكون عميلة ايضا على اصدقائها . وبهذا يتحول شخصان من الثلاثة الى عملاء لتلك القوى العمياء . يحكي المؤلف ذلك على السنة كل من زينب دياب واسماعيل الشيخ — اما حلمي حمادة فانه كان الضحية ، البرجوازي الصغير المتمرد على وضعه لانه عرف السر من خلال اجترار الصفحات ، ابوه مدرس لديه مكتبة ، يكتمل انتماؤه عن طريق الايمان والثقافة ، وصل الى قناعة مبكرة بأن لا امل فيما يحدث ولا بد من الثورة عليه . عرض على زينب واسماعيل قبل الاعتقال الثالث فكرة منشور سياسي سيقوم بتوزيعه . وقبل كل من اسماعيل وزينب امام فكرة حلم ... لكن زينب لفرط خوفها من القوة التي تستطيع معرفة كل شيء ولخشيتها على اسماعيل سجلت في تقرير ما حدث ، ويعتقل كل من حلمي حمادة واسماعيل الشيخ الذي يظن انهم اخذوه لانهم اكتشفوا تقاعسه عن الابلاغ عما حدث بينهم بوسائلهم الخاصة ، وقد مات حلمي حمادة اثناء التحقيق لانه كان اكثرهم جراة وعصبية وقد ادان جلاديه لانه عرف السر وتوصل اليه في لحظة ما متجاوزا ما حوله الى الاسلوب والطريقة الصحيحة فتآمروا عليه .

ويطول الحبس باسماعيل اكثر من المرات السابقة ولا يخرج الا بعد حدوث هزيمة يونية ١٩٦٧ وسقوط خالد صفوان .. يعود اكثر تهدما، لم يبق من الروح القديم الا شبح بينما تكون زينب قد تحولت الى عاهرة بعد ان وشت بحلمي حمادة صديقها ، وتحت تأثير احساسها بأنها مسؤولة عن قتله مسؤولية كاملة تعرض نفسها في النهاية بلا ثمن كنوع من التعذيب الذاتي تكفيرا عن ذنب حلمي حمادة .

واذا كان حلمي مسيح المجموعة الذي فداها بدمه ، ودفع حياته ثمنا لمعرفته السر ولم يدل بأقواله فان خالد صفوان كان لا بد ان يدلي بشهادته التي طلسمها في عبارات محددة عندما وصل الى الكرنك بعد خروجه من السجن لمسؤوليته عن اخطاء ادت الى النكسة في يونيو ١٩٦٧ ، وفي مقهى الكرنك قابل الوجوه التي اذاقها الهوان تحت تأثير السلطة والسلطان ، فقال عندما سألوه بالحاح عن قصته :

براءة في القرية .
وطنية في المدينة .
ثورة في الظلام .
عين سحرية تعري الحقائق .
عضو حي يموت .
جرثومة كامنة تدب فيها الحياة .

كانت كلماته لا تخرج في مضمونها بالرغم من اقتضابها عن تبريرات ممجوجة ، وان اخذت صفة الوطنية، وكان فهمه العام لا يخرج بحال من الاحوال عن ما تنثره اجهزة الاعلام بافكارها الديماغوجية ، بينما يحمل سيف الندم على راسه ، وهل ينفع الندم مقابل ما دفعته زينب دياب واسماعيل الشيخ ، او هل ينفع الندم لقاء غياب حلمي حمادة ، وبماذا يساوي الندم ازاء الهزيمة الماحقة وانسحاق الآلاف بعتادهم تحت اشعة الشمس الحارقة التي الهبت رمال الصحراء تحت اقدامهم فلم ترحمهم الطبيعة ، والهم متراكم ، والعدو جاثم على الصدور ، والتركة مثقلة.

وكان مدخل خالد صفوان للمجموعة هو تقديم خلاصة تجربته التي اشتاق الى سماعها الجميع وطلبوا منه ان يعرضها وهي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« كفر بالاستبداد والديكتاتورية » — وهو ممثل كوابيس الظلام البشعة على الوطنيين ممن يحملون احلاما تتطلع نحو المستقبل ، و « كفر بالعنف الدموي » — وهو الاصبع الاثيمة التي اجهضت حلم حلمي حمادة في بناء جمهورية الملايين في الوقت الذي ينادي فيه بالعلم .

كانت كلمات خالد صفوان تتوازى مع الشعارات والمباديء التي شاعت فيما بعد هزيمة يونيه ١٩٦٧ — وذلك في راي يدل على الاستمرارية ، فالذين مارسوا القمع والارهاب هم الذين يدينونه ، ويرفعون الغشاوة عما حدث كأسلوب مبتكر للاستمرارية التي تجاوزتها وقائع الاحداث والهزيمة والفقر والكلمات الطنانة التي نجحت في التسكين مدة طويلة ، وتلك هي فلسفة خالد صفوان التي تعلمها بعدما انهزمت اساليبه القديمة التي تعلمها ومارسها في اعماق الجحيم .

هل كان ضروريا ان يصل خالد صفوان الى الكرنك كي يدلي بآرائه وهل رواد الكرنك من السياسي القديم او المنتفع بالنظام والمستفيد ، او قرنفلة رائدة الفن في المجموعة والتي لا تعشق الا الشباب ، ولا تحيا الا للحب او زينب واسماعيل من سقطوا في قاع الانسحاق بفعل تلك الاصابع ؟ هل هؤلاء جميعا يحتاجون ان يسمعوا شهادة خالد صفوان التي تحملها الكلمات الطنانة عبر الاثير في كل لحظة ، وهم من تحملوا الآلام في ضمائرهم ودفعوا الثمن غاليا بانتقادهم لذواتهم تحت نير العذاب وفي ظلام الزنازين بفقدهم القدرة على الحلم المتشبث في رياح الثورة الحاملة لآمال الناس وهم ابناؤها المخلصون؟

كان خالد صفوان يصرح بمقولاته امام رواد جدد يلتفون حول موائد الكرنك مع الرفاق القدامى ، منير احمد الذي بدأ وجوده المادي يجدد الدماء في شرايين قرنفلة التي بدأ قلبها ينبض للقائه وحبه مع تجدد الحياة في موائد الكرنك ، ولكن من هو منير احمد ؟ اننا لم نسمع شهادة المسيح الغائب حتى نرى اي مواطن الضعف كانت في نفسه واودت به الى النهاية ، وكيف يمكن تجاوز تلك النقاط الضعيفة ؟ . ان منير احمد انموذج جديد يحترم الدين ، ويحترم اليسارية ، وله شوق للاصالة ، ولكن اية اصالة هي ؟ . هل هي الرجوع الى التراث ؟ . لكنه ينفي انه يريد العودة للتراث ، والاصالة التي ينشدها منير عامر تنبع من قلبه فهل هذا هو الانموذج الذي يطرحه الواقع بعد الهزيمة ؟ ان الظروف تطرح انموذجا جديدا اعتقد انه مختلف كثيرا عن منير احمد الذي وصل الى الكرنك ، ان الانموذج الجديد ينشد علاقات جديدة في حياته، وان سقط في بؤرة الجمود والتشدد مع ذاته ومع الاخرين ، انه يرفض الجلوس بالكرنك ، بينما هو مهتم باحداث ما وصل اليه العقل الانساني في تطوير قضية الثورة محاولا التخلص من نقاط الضعف القديمة مستفيدا ما ترفع من شعارات عن الحرية والقانون لتاكيد تلك القيم ان الانموذج الجديد متمرد على جميع رواد الكرنك متهما اياهم ، لا يحترم اليسارية فقط بل انها تمثل ايديولوجية يجد باعتناقه لها تحقيقا لذاته خروجا من واقعه المتخلف غير عابيء بحب قرنفلة ، مثله الاعلى ثائرو فيتنام وكوبا وفلسطين ، انجيله كلمات جيفارا ، لا يخشى السجون



والمعتقلات ، وان كان يعالج المسائل بكثير من الحماسة والمراهقة ، لكنه سرعان ما يتخطى تلك المراهقة الى مرحلة اخرى اكثر نضجا .

لعل نجيب محفوظ اراد من تقديم منير احمد ان يقدم رؤيته للبطل المنتظر الذي يمكنه ان يقود المجتمع خطوات للامام ويحترم الدين ، لعله يقول انه بدون معالجة التناقض بين الفكر الثوري والدين بواسطة منير احمد المنتظر لن تتحقق الثورة .

واذا كان حلمي حمادة هو المنتمي الوحيد الذي لم يسقط بفعل قوة مواجهته ورفضه المزايدة وهو البرجوازي الصغير الحالم بدولة الملايين ، فان جزاءه الوحيد كان القتل ، لانه لا يرجى منه نفع ، مقاتل عنيد وواضح لا يتخذ حلولا وسطا ، ولا يقبل مهادنة ، وتلك هي الحقيقة التي اوضحها العمل ، ولا نرجو ان نمر عليها مسرعين ، قتل حلمي حمادة كان قتلا للحلم والامل . وضياع وانسحاق زينب وتردد اسماعيل ابني البروليتاريا كان هدفا واسلوبا مع التهديد والتخويف ثم الشراء بالمرتب تحت تاثير كلمات هلامية عن الوطنية ، اما المنتمي الذي تحددت امام عينيه السبل فلا يمكن مهادنته حتى لو قضي عليه باخس الاساليب ، ولذلك يكون من المستبعد ان يصبح منير احمد امتدادا موضوعيا لحلمي حمادة الذي ذاق التجربة حتى النهاية — اما منير احمد فلا يزال امامه شوط كامل حتى يتحدد ، ولو ان قرنفلة بدات تسعد بوجوده وتجدد من حيويتها القديمة التي افتقدتها — تلك شهادة نجيب محفوظ واعترافه مع رؤيته التي قد نقبلها او نرفضها او نتحفظ امامها اداها كما يراها بصدق شديد ينبع من التزامه الذي عرف به طوال مسيرته الفنية .

شمس الدين موسى

— القاهرة —

الفارابي بين العربيّة والعرقيّة

هادي العلوي

طالعت في العدد ١١٧ من مجلة « البيان » مقالة للباحث العراقي ناجي معروف بعنوان « الفارابي عربي الموطن والثقافة » وقد جاء في مقدمة المقال ما يلي :

« ابو نصر الفارابي عربي الموطن والمربى ، عربي اللغة والثقافة ، تظهر ثقافته العربية في مؤلفاته التي ناهزت مائتي كتاب الفها كلها باللغة العربية ، ولما كانت العروبة هي اللسان ، كما في الحديث الشريف « ليست العربية باب ولا ام انما العربية اللسان » فان الفارابي يعتبر من العلماء العرب » ..

وعلى غرار هذا يسعى باحث عراقي آخر لاثبات « عروبة » الفارابي ، اذ يقول الدكتور حسين علي محفوظ في محاضرة القاها في مهرجان الفارابي ، ان هذا الفيلسوف كتب بالعربية وانه لم يستعمل في مؤلفاته كلمة اعجمية واحدة . ولا بد للمرء من أن يجنح به الخيال وهو يتابع كلمات هؤلاء الافاضل الى مرحلة بعيدة من تاريخ الفكر يصبح فيها الفارابي مفكرا مجهولا لخاصة المثقفين فضلا عن عامتهم هنا حيث يختلط الامر فلا يهود احد يعرف هوية هذا المدعو ابو نصر الفارابي فيتطوع ، من ثم ، بعض الخبراء في تاريخ الفلسفة لتعريف الناس به ! فالسيد ناجي يقول لك جازما ان الفارابي الف كتبه بالعربية ، وهذا ما يؤكده زميله حسين محفوظ، وكأن الحديث يدور على فيلسوف لاتيني او اغريقي تبرع للتاليف بالعربية ، وكأن هناك من الناس الذين تجاوزوا مرحلة الدراسة الابتدائية من لا يعرف باية لغة كتب الفارابي ؟ وكأن هناك من غلب على وهمه ان الفارابي من اهل واق واق وليس فيلسوفا « عربيا اسلاميا » يعرفه حتى الصحفيون .

ان البرهنة على ان الفارابي كتب بالعربية وان ثقافته هي ثقافة عربية جهد عقيم لا يقوم به عالم حقيقي ، فلا يخفى على اي قارىء عربي او اجنبي له ادنى المام بالتراث العربي الاسلامي ان الفارابي فيلسوف مسلم وان اللغة العربية هي اللغة الرائسة لهذا التراث فما الداعي الى كل هذا العناء ؟ اننا نطلق اسم الحضارة العربية الاسلامية ونقصد بها تلك الظاهرة التاريخية التي نشأت مع ظهور الاسلام على يد العرب ، ثم اتسعت لتشمل شعوبا اخرى دخلت في الاسلام وكانت العربية لغتها الثقافية الرسمية ولغة التخاطب للكثير منها ، ومن هنا تستمد هذه الظاهرة وصفها بالعربية ، اما وصفها بالاسلامية فمن كونها في الاساس نتاج الاسلام ، وقد تطورت هذه التسمية لتكتسب مدلولا انثروبولوجيا يتعدى اطار العقيدة الدينية وذلك بالقياس الى حالتين :

الاولى تشعب النشاط الفكري وشموله مفردات فكرية لا صلة لها بالعقيدة وقد تكون متعارضة معها .

الثانية انخراط عناصر غير اسلامية في هذا النشاط من مسيحيين ويهود وصابئة ، فضلا عن عناصر مسلمة غير مؤمنة .

ان هاتين الحالتين تشكلان تجاوزا للعقيدة الرسمية دون أن تقترنا بالتجرد من الحدود والضوابط الانثروبولوجية للمجتمع الاسلامي ، وهو ما يجعلنا نضفي صفة « مفكر اسلامي » على اشخاص كيحيى بن عدي ومحمد بن زكريا الرازي مع كون الاول مسيحيا والثاني « ربوبيا » اي كافرا بالاديان .

وهكذا فكل مفكر وفيلسوف ينتمي الى هذا

المجتمع وهذه المرحلة التاريخيـــة هو مفكر وفيلسوف عربي اسلامي في حدود ما يعنيه هذا الاصطلاح لـــدى اطلاقه على هذه الظاهرة التاريخية المسماة بالحضارة العربية الاسلامية . اما الاصل العرقي فلم يعره القدماء اهتماما كبيرا . وقد اظهر مؤرخو الحكمة من المسلمين — صاعد ، ابن ابي اصيبعة ، القفطي ، وغيرهم — روحا اممية ملحوظة وهم يتناولون ممثلي الفكر الفلسفي من الامم المختلفة في المرحلتين الاغريقية والاسلاميـــة دون ان يشغلوا انفسهم بتوزيع شهادات الجنسيـــة بالطريقة التي يقترفها بعض كتابنا المعاصرين .

من هنا يتضح ان محاولة ناجي معروف وحسين محفوظ خارجة عن الصدد وهي لاتستجيـــب لحاجة دراسية يثيرها تاريخ الفارابي ، هذا زيادة على عدم الدقة العلمية في المحاولتين ، وقد ذهـــب الحماس بالاستاذين الى حد اهمال التحقيق في الكثير من فقرات البحث عند كليهما ، حيث اندفع الدكتور محفوظ الـــى القول بأن الفارابي لم يستعمل كلمة اعجمية واحدة في مؤلفاته بينما تحتوي مؤلفات الفارابي المخطوطة والمطبوعة على الكثير من المصطلحات اليونانية ، اما ناجي معروف فقد اظهر للاسف عدم احاطة بالكثير من مفردات البحث الفلسفي ، وفيما يلي ثبت ببعض اخطائه :

— استشهد الكاتب بحديث نبوي حول عربيـــة اللسان دون ان يلتفت الى احتمال الوضع في هـــذا الحديث . واود ان اشير هنا الى ان هذا الحديث لم يرد في مصادر الحديث الموثوقة كما ان مضمونه يرجح كونه موضوعا بالنظر الى ان الجدل حول تحديد ما يشملـــه وصف العربي لم يكن شائعا في عهد النبي وانما ظهـــر بعد ان امتد الاسلام خارج بلاد العرب .

— اشار الكاتب الى الاشعث بن قيس وقال انه كان صحابيا جليلا ، ومن المعروف ان « صحابيـــة » الاشعث كانت موضع نقاش ناهيك عن كونه صحابيـــا جليلا . ولم يكن للاشعث من الصحبة سوى وفادتـــه على النبي ضمن الوفود التي جاءته لتعلن اسلامهـــا بعد فتح مكة وصيرورة الاسلام قوة ساحقة في جزيرة العرب . وقد ارتد الاشعث بعد وفاة النبي وجـــيء به اسيرا الى ابي بكر الذي عفا عنه ، وهو العفو الذي ندم عليه ابو بكر فيما بعد وصرح به ساعة وفاته .

انظر : الطبري ، ابن الاثـــير ، اليعقوبي .. ويروي المسعودي في مروج الذهب ان الاشعث شارك في خطة اغتيال علي بن ابي طالب ، فهل هذا ما اهله لان يكون صحابيا جليلا ؟ !

— ذكر الكاتب ان المرحوم مصطفـــى عبد الرازق سمى الفارابي « فيلسوف العرب » ، والمعروف ان هذا اللقب يطلق على الكندي وللاستاذ عبد الرازق كتـــاب اسمه « فيلسوف العرب والمعلم الثاني » تناول فيـــه الكندي والفارابي ، ويبدو ان السيد ناجي معروف فهم من عنوان الكتاب ان كلمة المعلم الثاني صفة اضافيـــة لفيلسوف العرب ولم يكن هذا هو غرض المؤلف وانما توخى الاشارة الى الفيلسوفين باللقب الشائع لكـــل منهمـــا .

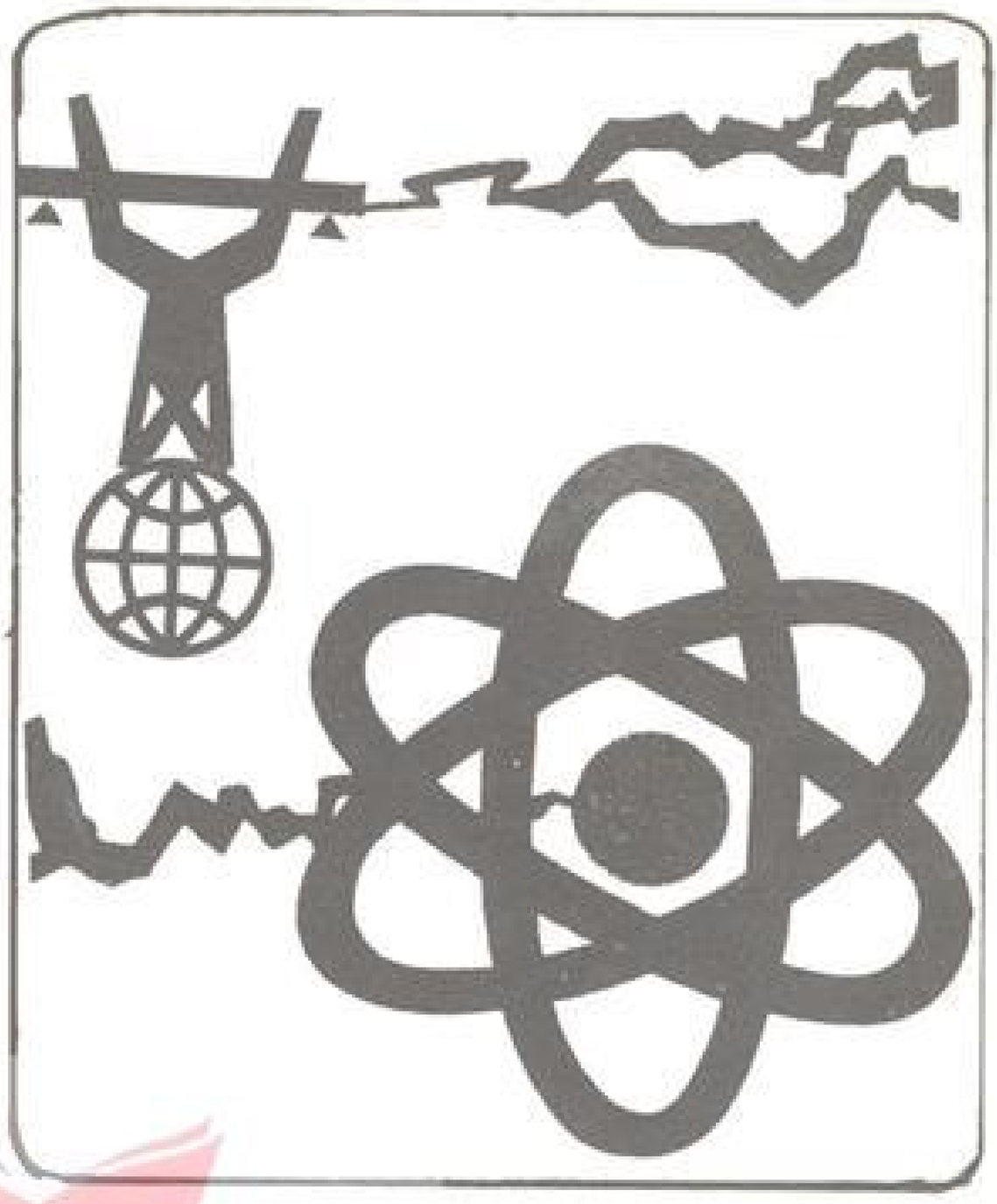
— يقول الكاتب ان « احصاء العلوم للفارابي » طبع للمرة الاولى في ١٩٣١ ، وهو يشير بذلك الـــى طبعة عثمان امين ، بينما ترجع اول طبعة لهذا الكتاب الى ١٩٢١ وهي الطبعة التي حققها الشيخ محمد رضا الشبيبي العالم العراقي المعروف ، وقد نشرها في مجلة العرفان اللبنانية ، وكان عثمان امين قد اشار الى هذه الطبعة في مقدمة تحقيقه لاحصاء العلوم ، ولا ادري كيف خفيت على الكاتب ؟

— اشار الكاتب الى كتاب القفطي في تراجـــم الفلاسفة وسماه « تاريـــخ حكماء الاسلام » . هـــذا الكتاب هو للبيهقي وقد طبع في دمشق ، اما كتاب القفطي فاسمه « اخبار العلماء باخبار الحكماء » والمطبوع منه يحمل عنوان « تاريخ الحكماء » فقط وهو ليس خاصا بحكماء الاسلام وانما يشمل حكماء الاغريق وغيرهـــم ايضا . .

— قال الكاتب ان الشريعة الاسلامية هـــي العلم الالهي ، وهذا الاصطلاح يطلقه فلاسفة الاسلام ، على فلسفة ما بعد الطبيعة « الميتافيزيقيا » وليست له اية علاقة بالشريعة الاسلامية .

— ذكر الكاتب مؤلف الفارابي المشهور باســـم « فصوص الحكم » وسماه نصوص الحكم ، والصحيح ما اثبتناه . ان عدم الدقة وقلة التحري يقترنان احيانا بغياب الروح العلمي ، ولا يمكن لمن قرأ بحث الاستاذ ناجي معروف الا ان يرى فيه تجسيدا لهذا كله . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ميكانيك الكم ومنطق الذرة

بقلم الدكتور صباح غالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة

ان نسيج الكون الذي نعيش فيه والذي نحن جزء منه ماهو الا مادة وطاقة موجودتان ضمن الزمان والمكان . ولقد اعطت تجربة الجنس البشري خلال المليون سنة الاخيرة وفي هذا المكان المحدد من الكون (الكرة الارضية) فكرة معينة عن كيفية التعامل مع هذه العناصر الاربعة الانفة الذكر ، مكنت الانسان من قضاء حاجاته الحياتية وساعدته في تكوين منطق معين يستفيد منه للتفاهم مع ابناء جنسه ولحل مشاكله اليومية .... وهكذا تحول الانسان تدريجيا من كائن بيولوجي بحت الى انسان ناطق ومفكر وخلاق في الوقت نفسه .

وبعد انقضاء العصر الحجري في مناطق معينة من العالم ، وخاصة في وادي الرافدين ووادي النيل ، دخل الانسان هناك مرحلة التمدن والحضارة قبل ستة آلاف سنة تقريبا ، وبدأ بتخصيص جزء من وقته الفائض للتأمل واستجواب الطبيعة وظواهرها ، تارة لاشباع غريزة حب المعرفة وتارة لاجل حل بعض مشاكله اليومية بطريقة عقلانية ، وتارة اخرى لايجاد مغزى لوجوده المتميز . وهكذا تكونت مبادىء اولية للفلسفة والعلم فالعلم كما يكون وحدة متكاملة وكلاهما معتمد على المنطق الذي هو في الاصل نتيجة تجربة سابقة للانسان مع الطبيعة .

وفي القرن السادس قبل الميلاد كانت كثير من المنجزات الانسانية قد انتقلت الى اليونان ، فاحتفظ بها اليونانيون وطوروها . وهناك وضع ارسطو الاسس النظرية لهذا المنطق ، ولخص بعض الظواهر الطبيعية ومدى انسجامها مع هذا المنطق .

ومنذ القرن الثامن الميلادي انتقلت منجزات الانسان الفكرية والعلمية والفلسفية الى العرب . فصانوها وطوروها ، وكانت مدن عربية واسلامية مثل بغداد وخراسان مرشحة ان تكون مهدا للثورة العلمية والصناعية وللمنهج العلمي ، كتلك التي شهدناها في عصر النهضة وما بعده في المدن الاوروبية . وكان ممكنا ان تكون اكتشافات كوبرنيكس وغاليليو ونيوتن مثلا من نصيب علماء عرب . ولو كان ذلك لاختصرت البشرية على الاقل اربعة قرون . ولكن لظروف داخلية وخارجية معقدة نسبيا اجهضت الحركة العلمية في بلاد العرب وانتقلت منجزاتها الى اوروبا . فبفضل المنجزات العربية وبفضل عوامل اخرى بدأ العلم هناك يشق له طريقا مستقلا واخذ ينفصل تدريجيا عن الفلسفة وخاصة

الغيبية منها ، محاولا ان يكون له منهجا علميا مستقلا يفسر به الظواهر الطبيعية بطريقة تختلف عن تلك التي ترتئيها تلك الفلسفة ، فتركها تبحث في مواضيع عامة بينما اخذ كل علم يتخصص في فرع معين . فنشأت مبادىء علمية ذات اسس جديدة للفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والفلك والطب .. الخ . وفي ذلك الوقت نفسه كان المجتمع الاوروبي بصورة عامة يتطور تدريجيا لينتقل من الاقطاع الى الصناعة ، فانتعشت فيه التجارة وانتشرت المصانع الحرفية الصغيرة حول المدن ونشأت المصارف وخلقت ظروف انسب مع حاجيات جديدة لدراسة الطبيعة بعقلية جديدة .

اما منهج العلم ووسيلته الكبرى في البحث فكانت :ـ

١ ـ الملاحظة .
٢ ـ تصنيف الظواهر وربطها .
٣ ـ التجارب المخبرية .
٤ ـ التجريد العقلي وادخال القياسات والرياضيات لاستنتاج قوانين عامة .
٥ ـ اقامة نماذج ذهنية تعكس اجزاء من الواقع والعلاقات التي بين هذه الاجزاء واستخدامها في التنبؤ العلمي واستبدالها بنماذج اخرى اذا اخفقت في تفسير الظواهر المتعلقة بهذا الواقع .

ولادة الفيزياء الكلاسيكية

وفي القرن السادس عشر وبعد ان عرفت الخلفية فيزيائية وفلكية وفلكية كافية جاء «كوبرنيكس» وصحح فكرة البشرية عن حركة الشمس الظاهرية وبين حقيقة دوران الارض والكواكب الاخرى حول الشمس . ثم جاء « كبلر » معتمدا على ملاحظات « تيخو براها » الفلكية وبين ان سرعة الكواكب وحركتها حول الشمس وابعادها عنها تخضع لقواعد . ولكنه لم يفسر سبب هذه القواعد . ثم جاء « غاليليو » ابو العلم الحديث ، واكتشفت قانون التصور الذاتي وهو ان كل جسم يبقى متحركا الى الابد محتفظا بنفس السرعة والاتجاه اذا لم توجد هناك قوة اخرى توقفه او تغير اتجاهه . ولقد اجرى غاليليو كذلك تجارب حول الجاذبية الارضية وبين ان جميع الاجسام تسقط على الارض من مكان مرتفع معين بنفس السرعة مهما اختلفت اوزانها واحجامها . جميع هذه الحقائق التي بينها كوبرنيكس وغاليليو كانت مخالفة لكثير من تعاليم ارسطو ومنطقه ، ومخالفة كذلك لعدد من ملاحظات وتجربة الانسان اليومية ولكنها كانت انتصارا للعقل التجريدي والملاحظة المنظمة والتجربة الواعية .

وفي القرن السابع عشر اصبح مجيء « نيوتن » ضروريا ، فربط هذا الاخير بين ملاحظات غاليليو حول الجاذبية والحركة وبين قوانين كبلر المتعلقة بدوران الارض والكواكب حول الشمس ، فوضع قوانين عامة عن الحركة والجاذبية ، وفسر سبب وجود النظام الشمسي . فجاذبية الشمس الناتجة عن كتلتها الكبيرة هي السبب في حركة الكواكب المنظمة حولها ؛ وقد اعتبر نيوتن ان الكون كبيره وصغيره خاضع لهذه القوانين . ولقد زودت قوانين نيوتن العلم والبشرية بفكرة انسانية تفاؤلية وهي انه يمكن مسبقا تحديد حركة وموقع اي جسم في الكون اذا عرفنا القوى المؤثرة عليه وكتلته .

واثرت هذه القوانين على تطور العلم اللاحق وطغت النظرة الميكانيكية البحتة على معظم العلماء في دراستهم لكثير من الظواهر الطبيعية ، وما زال تاثيرها الى اليوم رغم النظريات الحديثة التي جاء بها كل من آينشتين وبلانك في مطلع القرن العشرين مبينين حدود وصلاحية قوانين نيوتن .

وما التكنولوجيا الحديثة والصناعات والآلات الضخمة ووسائل النقل المختلفة الا تطبيقات عملية للافكار الاساسية لقوانين نيوتن . فاذا اخطأ صاروخ هدفه او مداره فالسبب في ذلك لا يعود لعدم صحة قوانين نيوتن ولكن الخطأ في حسابات مطلقي الصاروخ او لخلل تقني . وفي الحقيقة ان ازمة الفيزياء التي ظهرت بشكل واضح في مطلع القرن العشرين مع النظرية النسبية ونظرية الكم (Quantum Theory) يرجع السبب الاول لها الى بداية القرن التاسع عشر . ففي بداية هذا القرن لاحظ قسم من العلماء اثناء دراستهم لبعض الظواهر الطبيعية وخاصة تلك المتعلقة بالضوء والكهرباء والمغناطيس وحركة الغازات والحرارة ، انه من الصعب ادخال هذه الظواهر جملة وتفصيلا في نفس الاطار الذي حصر فيه نيوتن تصرفات الطبيعة ككل . فبعد ان اكتشف (يونغ) ان الضوء موجة اصبح من الضروري ايجاد وسيط ينقل الضوء من النجوم البعيدة . ففرض العلماء نوعا من المادة تملأ الفضاء سموها « الاثير » ، تنتقل امواج الضوء بواسطته ، هذا بينما يرى نيوتن ان الفضاء فراغ مطلق ساكن تتحرك فيه الاجرام السماوية وفقا لقوانينه في الجاذبية والحركة . وعندما درس فراداي « مخترع الدينمو » كلا من الكهرباء والمغناطيس ادخل فكرة جديدة اخرى وهي ان القوى المغناطيسية الموجودة حول قضيب من المغناطيس ماهي الا خطوط للقوى تملأ الفضاء الذي حول القضيب مكونة الحقل المغناطيسي . ثم جاء ماكسويل معتمدا على دراسات فراداي فوضع معادلات رياضية ترجع الضوء الى طبيعة كهرومغناطيسية ثم ان شأن الامواج الكهرومغناطيسية الاخرى والتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه المعادلات بوجودها . وبالفعل بعد مدة تمكن «هيرتز» من تحضيرها واثباتها في المختبر (اختراع جهاز الراديو مبني على وجود هذه الموجات) .

وكما يلاحظ القارىء ان فضاء نيوتن الساكن الفارغ اصبح مزدحما وممتلئا بالاثير والامواج وخطوط للقوى . وقد التجا العلماء لهذه التصورات ليفسروا الظواهر الطبيعية المتعلقة بالفضاء . وعندما درس الغاز وجد ان جزيئاته الصغيرة لا تخضع لقوانين نيوتن فقط وذلك لوجودها في حالة فوضى يصعب معها تحديد علاقاتها فيما بينها او علاقاتها مع الوعاء الذي يحتويها وخاصة عندما يضغط الغاز او يسخن . فادخلت وسيلة حسابية تعتمد على الاحتمالات ، وجد انها تصلح لدراسة الغاز وفهم تصرفه في الظروف المختلفة . ولكن هذه النظرة في التعامل مع الطبيعة والتي طورها « بولتزمان » ووضع لها معادلات رياضية تختلف عن نظرة نيوتن الحتمية والتحديدية في حركة الاجسام .

وهذه اول مرة تصاغ فيها قوانين فيزيائية على اساس نظرية الاحتمالات الحسابية ، وقد اضطرت الفيزياء الحديثة الى الاخذ بهذه النظرية لدراسة التركيب المعقد للذرة . وتجدر الاشارة هنا ان نظرية الاحتمالات هذه والتي وضعها بولتزمان معتمدا على آراء وافكار باسكال حول الموضوع يطورها شانون في عصرنا هذا استخدمها العالم « نوبرت فينر » في دراسة نظرية المعلومات وعمل العقول الالكترونية . وفي نفس ذلك العصر اكتشف « جول » اول قانون للطاقة وهو ان الطاقة لا تفنى ولا تستحدث ولكن يمكن تحويلها من حالة الى اخرى (من ميكانيكية الى حرارية مثلا) . ثم اكتشف « كارنو » القانون الثاني الذي يبين ان الطاقة تتبدد . ففي كل لحظة يضيع قسم منها في الكون على شكل حرارة فلا يمكن استرجاعه او تحويله الى طاقة اخرى . وهنا تلعب ايضا نظرية الاحتمالات في صياغة قوانين هذه الظاهرة الطبيعية .

اما الكيمياء فقد وضع لها « دالتون » نظريته الذرية معتبرا ان المواد الكيميائية تتكون من ذرات وهي كرات صغيرة الحجم لا يمكن تجزئتها وعندما تتحد فيما بينها تكون المركبات الكيميائية المختلفة . وهنا لم يخرج دالتون عن التصور الميكانيكي للمادة . ومع ذلك كانت هذه النظرية ذات فائدة كبيرة لتطور الكيمياء اللاحق ، رغم نظرتها الضيقة هذه . وفي الثلث الاخير من القرن التاسع عشر نشر (مندليف) جدوله الدوري موحيا بأن ذرات العناصر نفسها متكونة من وحدات مادية صغيرة وان تغير عددها يؤدي الى تغير وزن الذرة وبالتالي العنصر نفسه . وان كل عمود من الجدول يحتوي على خانات لعناصر متشابهة كيميائيا . وعندما درس العلماء الاشعة المنطلقة من القطب السالب في الانابيب المفرغة « اشعة كاثود » اعتبروها جسيمات صغيرة سالبة الشحنة وخارجة من الذرات نفسها واطلق عليها (بلوكر) اسم الالكترونات . كما ان (هولهوكتز) فسر سبب التحليل الكهربائي للمواد الكيميائية بوجود هذه الالكترونات في ذرات العناصر الكيميائية .

وفي سنة ١٨٩٧ استطاع « تومسن » ان يقيس وزن وشحنة هذا الالكترون . ووزنه ١٨٤٠ مرة اصغر من اخف عنصر في الطبيعة وهو الهيدروجين . وفي نفس الفترة اكتشف «بيكرل» النشاط الاشعاعي لليورانيوم، وساعدت الاشعاعات المنطلقة منه وخاصة اشعة الفا على دراسة تركيب الذرة كما ساعدت هذه الاشعة على كشف البروتون باعتباره ايضا احد مكونات الذرة، بجانب الالكترون . ووجد ان وزنه ١٨٤٠ مرة اثقل من الالكترون كما ان البروتون نفسه ما هو الا الايون الموجب لذرة الهيدروجين .

الالكترون يتمرد على الفيزياء الكلاسيكية

في بداية القرن العشرين اصبح ضروريا بناء صورة ذهنية للذرة ، فوضع العالم البريطاني الكبير « رذر فورد » نموذجا للذرة ، فصورها كنواة في داخلها البروتونات وعلى مسافة بعيدة جدا بالنسبة لحجم النواة تدور الالكترونات ، فكان النموذج نظاما شمسيا مصغرا ، اكدت صحته التجارب المخبرية بواسطة اشعة الفا ، كما اكدت صحته قابلية هذا النموذج لتفسير كثير من الظواهر الطبيعية .

ولكن هذا النموذج يتنافى مع نظرية (ماكسويل) الكهرومغناطيسية التي تقول ان كل جسم مشحون يسير داخل مدار مغلق يشع ضوءا ، وهذا معناه ان الالكترون سوف يفقد طاقته بسرعة ويسقط على البروتون وبذلك تنهار الذرة . وفي سنة ١٩١٣ حل العالم الدانمركي (بوهر) هذا التناقض بطريقة ذكية جدا وغريبة ايضا، فهو من جهة احتفظ بالنظام الشمسي للذرة ولكنه حصر الالكترونات بمدارات محددة وفقا لمفهوم لا يتفق مع نظرية نيوتن التي ترى ان الجسم يمكنه ان يأخذ اي مدار كان ، وراى بوهر ان الالكترون عندما يدور ضمن هذا المدار المحدد تكون له طاقة محددة تكفيه فقط للدوران ولا تسمح له بأن يشع ضوءا . وان الضوء لا يخرج من الالكترون في الحالة الاعتيادية حيث الذرة مستقرة . اما اذا استفزت ذرات المادة بواسطة التسخين مثلا فان الالكترون يترك مداره المحدد متخذا له مدارا اعلى ثم يسقط ثانية الى مداره القديم وينطلق منه الضوء متخلصا من الطاقة الاضافية التي امتصها اثناء التسخين . والسؤال كيف يحق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للالكترون ان يتصرف هذا التصرف الغريب ويتمرد على قوانين نيوتن الكلاسيكية ؟ والحقيقة انه لولا هذا التصرف الغريب لما وجدت المادة ، وبالتالي الحياة ، بالشكل الذي نراه اليوم . والان ماهي الادلة النظرية والعملية التي يقدمها بوهر ليبرر ويثبت مثل هذا التصرف المتناقض للفيزياء الكلاسيكية ؟

نظرية العالم بلانك في الكم (Quantum)

تفتح الطريق امام نظرية بوهر الذرية

في بداية القرن العشرين ظهرت نظريتان فيزيائيتان نتيجة لاخفاق الفيزياء الكلاسيكية في تفسير بعض الظواهر الطبيعية ، هاتان النظريتان هزتا كيان الفيزياء الكلاسيكية كله ، ورسمتا له حدودا ، وانزلتاه عن عرشه الكوني ، مما ضايق الفيزيائيين الكلاسيكيين الذين تعودوا على نمط معين من التفكير ، ان هاتين النظريتين تشكلان اهم ثورتين في تاريخ الفكر البشري استطاعتا ان تغيرا مجرى البحوث العلمية في القرن العشرين . وهاتان النظريتان هما نظرية اينشتاين في النسبية ونظرية بلانك في الكم .

رغم ان كلا النظريتين لهما نقاط مشتركة فانهما ليستا متشابهتين تماما ، ولقد احتوت الفيزياء الكلاسيكية تدريجيا « النظرية النسبية » واعتبرتها في النهاية جزءا منها . اما نظرية الكم فقد ادت الى ميكانيك جديد وغريب هو ميكانيك الكم .

ان النظرية النسبية في الحقيقة هي نتيجة التعارض بين مفهوم الزمان والمكان في فيزياء نيوتن من جهة ، وبين نظرية ماكسويل وفراداي في الحقل الكهرومغناطيسي من جهة اخرى . ولقد بين اينشتاين سنة ١٩٠٥ ان هذا التناقض يمكن تجاوزه باسقاط المفهوم النيوتني للزمان والمكان واستبداله بمفهوم اكثر دقة . كما اظهرت النسبية أن فيزياء نيوتن الكلاسيكية صالحة كذلك ما دام الجسم يسير بسرعة بطيئة بالنسبة لسرعة الضوء . ومن اخطر نتائج النسبية هو قانون اينشتاين الشهير القائل : بأن الطاقة تساوي حاصل ضرب الكتلة في مربع سرعة الضوء .

وهكذا بين اينشتاين أن الكتلة ماهي الا طاقة مركزة ، وبعبارة اخرى ان الطاقة والكتلة هما وجهان مختلفان لحقيقية طبيعية واحدة .ويعتبر العلماء ان هذا القانون هو اهم قانون في الطبيعة (استنادا الى هذا القانون بنيت القنبلة الذرية) .

اما نظرية الكم فقد ظهرت نتيجة لعجز الفيزياء الكلاسيكية من تفسير ظاهرة الاشعاع الحراري للاجسام المسخنة . وكانت التفسيرات النظرية للفيزياء الكلاسيكية وتوقعاتها تختلف تماما عن النتائج التجريبية في هذا الحقل . ولقد فسر العالم الالماني الكبير بلانك سنة ١٩٠٠ ظاهرة الاشعاع الحراري بطريقة ثانية ، فاهتز كيان الفيزياء الكلاسيكية وتغيرت مجرى البحوث وفتحت الابواب امام دراسة العالم الصغير (الذرة) .

فبين بلانك ان زيادة او نقصان طاقة اي جسم لا تتم بشكل اعتباطي . فهناك كمية صغيرة وثابتة من الطاقة في الطبيعة لا يمكن تجاوزها بالصغر وهي ثابتة لكل انواع الطاقة وتسمى بثابت بلانك . كما بين بلانك ان طاقة اي جسم ما هي الا عدد صحيح مضروب في ثابت بلانك ، والطاقة بالنسبة للضوء تساوي تردد موجته وهو عدد صحيح في ثابت بلانك . وبما ان الاجسام التي نتناولها في حياتنا اليومية كبيرة نسبيا فان هذا القانون لا يظهر لنا وذلك لصغر ثابت بلانك . ولهذا السبب تظهر لنا الطاقة كأنها لا تخضع لهذا القانون . بل كأنها مستمرة ويمكن تغيرها بدون اخذ ثابت بلانك بنظر الاعتبار ، وبالفعل فانه من السخف ادخال ثابت بلانك في الفيزياء الكلاسيكية التي تدرس تصرف الاجسام الكبيرة . اما اذا كان الجسم صغيرا جدا بحيث الالكترون فان طاقته صغيرة جدا وهنا تظهر اهمية ثابت بلانك .

وفي سنة ١٩٠٥ استنتج اينشتاين من قانون بلانك ان الضوء يتكون من جسيمات صغيرة سماها الفوتونات . وان هذه الفوتونات ما هي الا طاقة مركزة . وكمية طاقة الفوتون هذا تساوي حاصل ضرب تردد موجة الضوء في ثابت بلانك . كانت هذه النظرية ضربة اخرى بالنسبة للفيزياء الكلاسيكية التي ترى ان الطاقة شيء والمادة شيء اخر ، بينما بين اينشتاين ان للضوء طبيعة مادية ايضا ، واعطت هذه النظرية تفسيرا لظاهرة فوتو اليكتريك التي اكتشفها « هيرتز » ١٨٨٧ والتي هي في اساس عمل التلفزيون .

لقد تنبه « بوهر » لاهمية ثابت بلانك واستنتج ان الالكترون لا يمكنه ان يأخذ سوى طاقة محددة بثابت بلانك تمكنه فقط من الدوران حول النواة ضمن مدار محدد ، خلافا لما ترتايه الفيزياء الكلاسيكية التي ترى ان الطاقة مستمرة وبالتالي يمكن للالكترون ان يأخذ اي مدار كان ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى راى بوهر ان هذا المقدار المحدد من الطاقة يكفي فقط لجعل الالكترون مستقرا ضمن مداره بشكل لا يشع ضوءا . كما هو فعلا واقع الحال بالنسبة للذرة الاعتيادية . تأكد بوهر من نظريته هذه بعد اطلاعه على نتائج العالم السويسري (بالمر) الذي كرس معظم حياته لدراسة اطياف ذرة الهيدروجين ، ففي نهاية القرن التاسع عشر وضع بالمر معادلة يمكن بواسطتها معرفة تردد موجة اي طيف من اطياف الهيدروجين . وتبين هذه المعادلة ان الفرق بين تردد موجة اي طيف والطيف الذي قبله يخضع لنظام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عددي صحيح تصاعدي .

ان هذه المعادلة لا تعطي تفسيرا نظريا لوجود هذا النظام العددي ولكن هذه الاعداد تتفق كليا مع التجربة . وقد كان هذا النظام العددي محيرا بالنسبة لعلماء ذلك العصر حتى فكر بوهر في ان الكترون متسمر الهيدروجين لو كان يدور حول النواة وفقا لقوانين نيوتن لكان باستطاعته ان يأخذ اي طاقة ممكنة وبالتالي اي مدار ممكن ولكانت اطيافه لا تخضع الى هذا النظام العددي التصاعدي المحدد . ولكن هذه الاعداد المنتظمة دعته الى التفكير بوجود نظام كمي (Quantum) ضمن ذرة الهيدورجين . وبالفعل استطاع بوهر ان يعيد صياغة معادلة بالمر . فوجد انه يمكن معرفة تردد امواج طيف الهيدروجين من معادلة جديدة تعالج معطياتها الكترون ومدارات ذرة الهيدروجين نفسها اكثر من معالجتها للطيف . ومع هذا فهي تعطي نفس نتائج بالمر والغريب ان هذه المعادلة تتضمن نفس النظام العددي وثابت بلانك ، وكانت هذه المعادلة تاكيدا ونجاحا لنظرية بوهر . اما سبب وجود هذه الارقام التصاعدية بشكل اعداد صحيحة فبقيت سرا لمدة عشر سنوات ، الى ان جاء العالم الفرنسي الكبير الامير « لوي دي بروي » فاكتشف سنة ١٩٢٣ سرها واهميتها . فكر دي بروي ان وجود هذه الارقام بشكل اعداد صحيحة انما هو اشارة الى وجود موجة متصلة بالالكترون . وفي سنة ١٩٢٧ تمكن العالم الامريكي « ديفيسون » من اثبات وجود هذه الموجة مخبريا فحصل دي بروي في نفس السنة على جائزة نوبل ، والجدير بالذكر ان عمل الميكروسكوب الالكتروني يستند على هذه الحقيقة الفيزيائية .

وهكذا كما بين اينشتاين من قبل ان للضوء طبيعة مادية ، كذلك بين دي بروي ان للمادة طبيعة موجية ، وان طول الموجة هذه تقل كلما كبرت كتلة المادة بحيث يمكن اهمالها عندما يتعامل الانسان مع الاجسام الاعتيادية في حياته اليومية ، وبالفعل فان الفيزياء الكلاسيكية لا تحتاج الى ادخال الموجة في حساباتها .

اما عندما تكون كتلة المادة صغيرة بصغر الالكترون فان المادة هذه تتصرف تصرفا موجيا . وكان نجاح هذه الحسابات بداية لعلم جديد هو ميكانيك الموجة،فباستبدال قوانين بوهر الشكلية بامواج المادة وقوانينها استطاع دي بروي ان يربط نظرية الكم مع النظرية العامة للموجة وبهذا يربط قوانين علم الضوء بالميكانيك .

وفي سنة ١٩٢٤ واستنادا على نظرية دي بروي وضع شرودنكر العالم النمساوي معادلات رياضية تدرس تصرف الالكترون داخل الذرة آخذة بعين الاعتبار ان الالكترون هو موجة اكثر منه جسيما ، كما انه ادخل حسابات الاحتمالات في دراسة تصرف الالكترون . وسميت هذه النظرية بميكانيك الموجة ، وفي نفس الفترة وضع العالم الالماني هيزنبرغ مبدأ معينا مستندا لمعادلة رياضية تبين انه لا يمكن تحديد موضع وسرعة الالكترون في نفس الوقت . اي بعبارة اخرى لا يمكن تحديد الالكترون بالطريقة الكلاسيكية والسبب يعود الى الطبيعة المادية والموجية للالكترون والى صغر حجمه بينما فيزياء نيوتن تدرس الاجسام الكبيرة نسبيا وليس على اساس موجة .

ولقد اثارت هذه النقطة نقاشات فلسفية كثيرة بين العلماء حول امكانية دراسة الطبيعة بشكل موضوعي وتحديدي . وفي تلك الاثناء بين العالمان الهولنديان « اولينبيخ » و « كود شميت » ان الالكترون يدور حول نفسه كذلك . وشبه بمغناطيس صغير كما ادخل العالم الرياضي البريطاني ديراك النظرية النسبية نظرا لسرعة الالكترون الفائقة واكتشف في نفس الوقت نظريا وجود المادة المضادة فاكدت معادلاته الرياضية وجود البوزيترون الذي له نفس كتلة الالكترون ولكن مخالف له بالشحنة .

ثم ادخل العالم النمساوي « باولي » قواعد خاصة تبين انه لا يوجد هناك الكترونان داخل الذرة لهما نفس الوضع اي بعبارة اخرى ان لكل الكترون وضعا خاصا وفريدا به ، تحدده النظرية . وخلاصة القول ، كان هؤلاء العلماء الشبان في سنة ١٩٢٧ قد انتهوا من وضع اسس النظرية لميكانيك جديد سمي بميكانيك الكم ومن وضع نموذج عن الذرة ، يحدد هذا النموذج وضع وتصرف اي الكترون لاي عنصر كان . فان الكترونات اي عنصر محكومة بقواعد ومنطق معين لا تحيد عنه ، فكل الكترون له مستوى من الطاقة يسمح له بالدوران في مدار محدد ولهذا المدار مساحة معينة وشكل معين (فهو اما دائري او بيضوي) وله كذلك ميلان محدد بالنسبة لمحور المدار . وبعبارة اخرى : كل الكترون له جواز مرور مكتوب عليه التفاصيل اللازمة التي تساعده لاخذ محله الفريد والمقيد في رحلته النواة ، اما هذه التفاصيل فهي ارقام ، فالجواز فيه اربعة ارقام مختلفة ، الرقم الاول يحدد مساحة المدار والرقم الثاني يحدد شكل المدار (بيضوي او دائري) والرقم الثالث يحدد ميلان محور المدار والرقم الرابع اتجاه دوران الالكترون حول نفسه . وحسب قواعد باولي لا يوجد الكترونان يحتويان في جواز سفرهما على نفس الارقام . وبناء على هذا يرى النموذج ان الالكترونات تدور حول النواة ضمن اغلفة اساسية وكل غلاف مقسوم الى اغفلة فرعية وكل غلاف فرعي لا يتحمل اكثر من عدد محدود من الالكترونات ، فمجرد معرفة العدد الذري لاي عنصر يمكن استنتاج وضع اي الكترون وموقعه من الغلاف الاساسي والغلاف الفرعي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالغلاف الاول او الداخلي والقريب من النواة لا يتحمل اكثر من الكترونين ، والغلاف الثاني لا يتحمل اكثر من ٨ الكترونات والغلاف الثالث يتحمل اكثر من ١٨ الكترونا والغلاف الرابع لا يحتمل اكثر من ٣٢ الكترونا ..... الخ . وان عدد الالكترونات في الغلاف الخارجي هو الذي يحدد الصفات الكيميائية للعنصر ، فالعناصر التي تكون عدد الكتروناتها في هذا الغلاف كاملة تكون خاملة مثل الهيليوم والنيون والارغون ، وان الاتحاد الكيميائي بين العناصر لتكوين المركبات الكيميائية ما هو الا تبادل الالكترونات في الغلاف الخارجي اذ يحاول كل عنصر ان يجعل الالكترونات في هذا الغلاف كاملة ، كما يجب الانتباه الى ضرورة وجود الموجات المتصلة بهذه الالكترونات عند دراسة المركبات الكيميائية .

تاثير ميكانيك الكم على العلوم الاخرى

سارع العلماء من فروع العلوم المختلفة الى تطبيق نتائج هذه النظرية في مجال اختصاصاتهم ، فقبل كل شيء وجدت اسس منطقية لجدول مندليف الدوري ، كما اصبحت الكيمياء بكل انواعها وخاصة العضوية والحياتية اكثر منطقية واكثر سهولة ، فالمركبات الكيميائية وخاصة العضوية منها لم تعد مجرد تجمع ذرات من الكربون والهيدروجين والنيتروجين .. الخ ، بل انه تجمع مبني على اسس تحدده نظرية الكم . وبناء على تطورت كيمياء الحياة بشكل مدهش ، توصل العلماء الى معرفة تركيب المادة العضوية الاساسية في الكائنات الحية (D.N.A.) ، فكان لهذا الاكتشاف اهمية بالغة ، احدث ثورة في علم البيولوجيا والطب والوراثة وغير من نظرة الانسان الفلسفية في اصل الحياة .

كما تمكن العلماء من تركيب مئات الالوف من المواد الكيميائية العضوية المختلفة ومعظمها غير موجود في الطبيعة ، فتطورت صناعة الادوية وصناعة اللدائن التي نلمس فوائدها في حياتنا اليومية . اما تطبيقات هذه النظرية في مجال الفيزياء الكيميائية وفيزياء المواد الصلبة فهي مثيرة للدهشة فلم تعد هذه العلوم مقيدة فقط بدراسة الصفات الظاهرية للمادة ، بل ان نظرية الكم زودت العلماء بوسائل منطقية تساعدهم على تصور الاوضاع والحالات المختلفة التي تاخذها الذرات في تكوين البلورات الاساسية للمواد الصلبة وهذا بدوره سمح للعلماء بالتدخل العقلاني لتغيير اشكل هذه البلورات وبالتالي خلق مواد وسبائك ذات صفات جديدة تسد حاجات التكنولوجيا المتطورة ابدا . كما ان الترانزستور واشعة الليزر ما هي الا تطبيقات عملية لنظرية الكم .

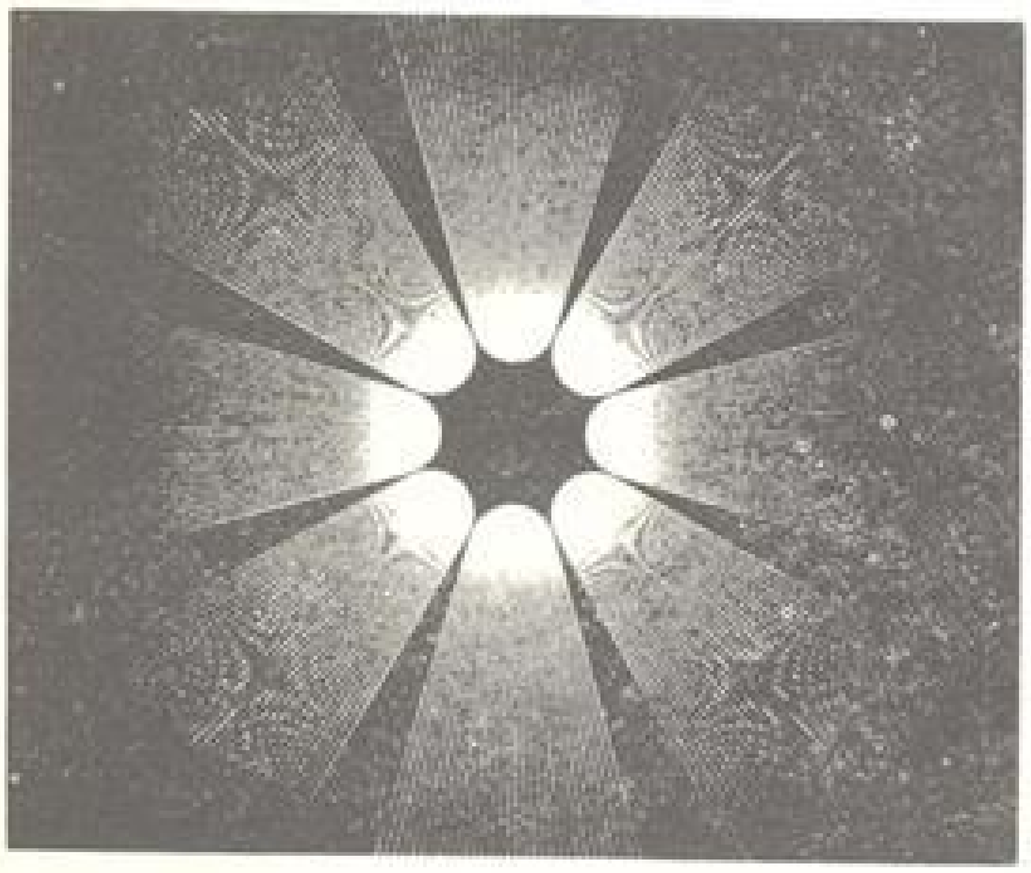
ويجدر الاشارة هنا الى ان ميكانيك الكم لم يدرس فقط الالكترونات الموجودة خارج النواة بل ايضا الجسيمات التي تكون النواة (البروتونات والنيوترونات والميزونات ... الخ) . وهكذا استطاع العلماء ان يقطعوا شوطا بعيدا في وضع الاسس النظرية للكيمياء النووية وهي نوع من الكيمياء يدرس التفاعلات النووية التي تحدث في كل لحظة في الشمس وفي جميع نجوم الكون ولا يخفى على احد اهمية هذا بالنسبة الى علم الفلك وعلم اصول الكون وتطوره .

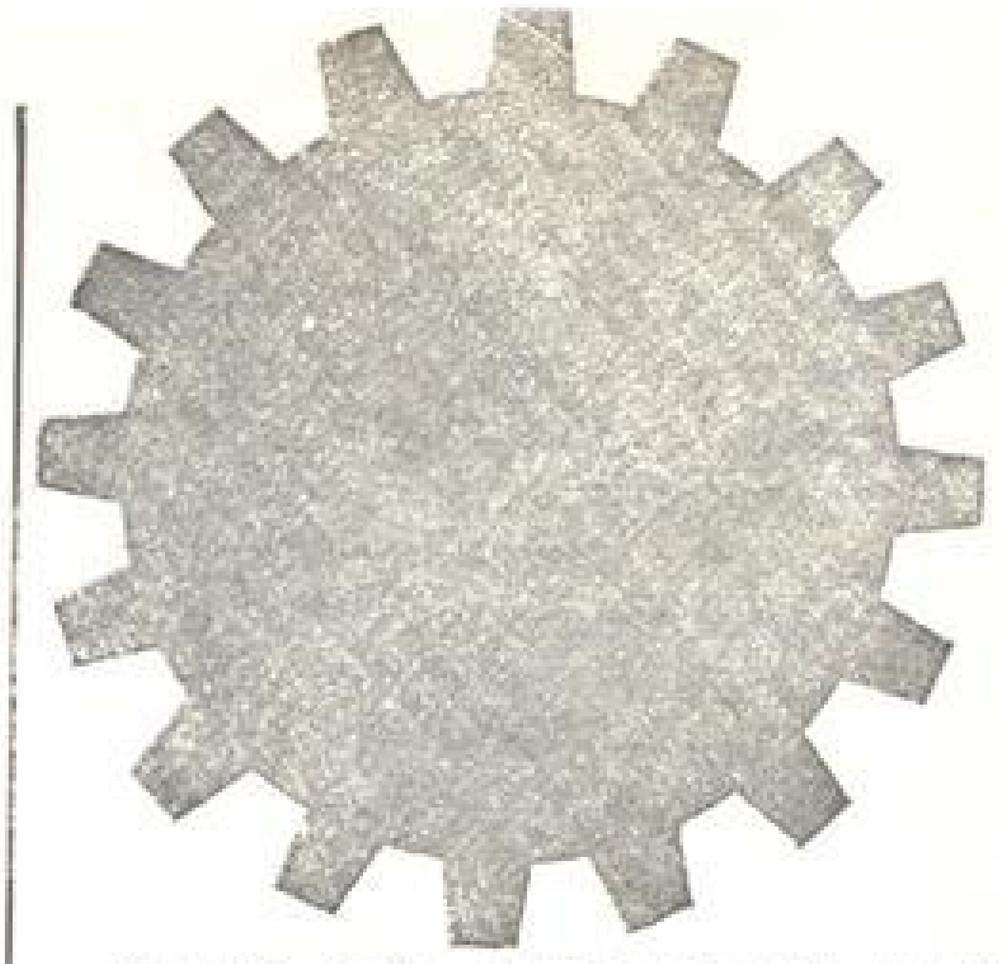
كما ان هذه الكيمياء اساسية في البحوث التي تجري حاليا للسيطرة على الطاقة الهائلة الناتجة من دمج الهيدروجين واستخدامها في المستقبل عوضا عن المحروقات المستعملة حاليا كالنفط والفحم ذات الاحتياط المحدود .

مستقبل ميكانيك الكم

لن يكتفي العلماء بكل هذه النتائج النظرية والعملية التي توصلوا اليها فلا تزال هناك كثير من الظواهر الطبيعية لا يمكن تفسيرها بواسطة ميكانيك الكم ، ولهذا السبب راى العلماء ضرورة تطوير هذه النظرية .

ففي كثير من المراكز الفيزيائية للبحوث النظرية والعملية في العالم تجري الآن دراسات واسعة حول حقيقة كل من الامواج الكهرومغناطيسية والحقل المغناطيسي والكهربائي والامواج المتصلة بالمادة (امواج دي بروي) وحول العلاقة الموجودة بين الزمان والمكان والمادة والموجة . ولقد تمكنت مدرسة باريس في الفيزياء النظرية وتحت اشراف العالم لوي دي بروي من وضع خطوط جديدة لاجل تطوير نظرية ميكانيك الكم . فادخلت السيبرنتيكا (نظرية التحكم الذاتي بواسطة التغذية المرتدة) ونظرية المعلومات (التي تدرس الشفرة





والاشارات اللازمة لتغذية نظام ما ليتحكم ذاتيا) الى ميكانيك الكم لدراسة الصلة بين النظام والفوضى في الكون والعلاقة الديالكتيكية الموجودة بينهما ، وتجري في نفس الوقت محاولات في معاهد الرياضيات البحتة والفيزياء النظرية لوضع معادلات رياضية معقدة اساسها نظرية الاحتمالات (تستخدم العقول الالكترونية في معظم الاحيان لصياغتها) لتحديد العلاقة المتبادلة الموجودة بين النظام (كالذرة باعتبارها كيانا منظما ومستقرا) والفوضى (كتبدد الطاقة في الكون الهائل) .

وترى هذه المدرسة ان سبب استقرار الالكترون واستمرار دورانه حول النواة مع بقاء عدد تردد موجاته ثابتا طول الوقت يعود الى التغذية المرتدة التي تسيطر على الالكترون وتمنع الفوضى التي قد تحدث اذا ما تغيرت الموجية . ويفترض دي بروي ان العامل الذي يقوم بنقل اشارات هذه التغذية المرتدة هي موجات كهرومغناطيسية ذات شدة واطئة تبثها الذرة نفسها فتجعلها في حالة استنفار مستمر وتحذرها من الانزلاق في طور فوضوي .

ان العلم في مسيرته التاريخية الكبرى لفهم الطبيعة والسيطرة عليها والاستفادة منها تكنولوجيا ينتقل باستمرار من المعرفة الجزئية نحو المعرفة الكلية ومن المعرفة النسبية نحو المعرفة المطلقة . لذلك يغير العلم ويطور على الدوام وسائله النظرية والعملية ، وستبقى الحالة هذه الى الابد ما دام قطبا المعرفة باقيين : الطبيعة التي لا تنضب والانسان الذي لا يرتضي بديلا في هذا الكون غير تحقيق انسانيته عن طريق تحويل الكون من اسراره لذاته الى اسرار لذاتة الانسان .

هذا الطريق الذي يؤدي بالضرورة الى الحرية والتي ما هي الا عملية مستمرة لعقلنة الكون وتحويل الفوضى الى نظام .

الدكتور صباح غالي

الكويت

مؤتمرتن

عقد المؤتمر في الكويت في الفترة من ٧٥/١٢/٢٨ الى ١٩٧٥/١٢/٣١ واشترك في اقامته كل من المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب في الكويت ، واتحاد خريجي الجامعات الامريكية العرب .

وحضره من اعضاء الاتحاد نحو مائة وعشرين عضوا ، كما دعي لحضوره جميع رؤساء الجامعات العربية ، فضلا عن عدد من المثقفين العرب المهتمين بقضايا تنمية الموارد البشرية .

وتدارس موضوعات المؤتمر حول القضايا التالية :

اليوم الاول ٢٨ ــ ١٢ ــ ١٩٧٥

اولا : بحث موضوع القوى العاملة في العالم العربي ــ
تجربة تطلعات المستقبل ، للدكتور مهدي محمد علي ــ اقتصادي ــ البنك الدولي للانشاء والتنمية واشنطن ــ د.س .

● ● ●

ثانيا : احتياجات القوى البشرية والتخطيط والتنمية في العالم العربي

والقيت في هذا الموضوع اربعة بحوث :

بحث ــ١ ــ التخطيط لمستقبل القوى العاملة والتنمية: دراسة مقارنة لعدد من الدول العربية ، للدكتور جورج عبد ، واشنطن ــ د.س .

بحث ــ ٢ ــ راس المال البشري في الخليج طريق للتنمية المستمرة ،للدكتور محمدالرميحي ــ جامعة الكويت.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com